وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر *بسكرة*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ قطب شتمة ـ

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

الحياة الاجتماعية في الجزائر

1800– 1852 م

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: التاريخ المعاصر

إعداد الطالبة:

عماري زينب

إشراف الأستاذ:

كربوع مسعود

السنة الجامعية: 2015/ 2016

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

ها نحن نصل بعون الله تعالى إلي تقديم هذا العمل الذي أرجو أن يكون إضافة إلي تاريخ بلادنا، ومن خلال ذالك قد لا تكفيني كلمات العالم للتعبير عن معني الشكر والعرفان وقد لا يوصف معني التقدير والامتنان ولكن رغم هذا أتوجه بالشكر الجزيل للمولى عز وجل قبل كل شيء .

وإلى كل من ساعدني في تقديم هذا العمل من قريب أو بعيد وأخص بالذكر الأستاذ المشرف كربوع مسعود الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ورافقني في كل خطوات إنجاز هذا العمل المتواضع، وأتوجه بالشكر كذلك إلى كل من الأستاذ حوحو والأستاذ بوطارفة.

وإلى الزميلين فؤاد عزوز وأسامة عرعار من قسم تاريخ جامعة سطيف، اللذين قدما لي يد المساعدة، الشكر الموصول إلى كل هؤلاء والحمد لله أولا وأخيرا.

مقـــــدمة

لقد ارتبط اسم الجزائر بالدولة العثمانية منذ 1518م، وهي السنة التي أصبحت فيها أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا ، بحيث كان للعثمانيين دورا هاما في مساعدة الجزائريين وإنقاذهم من نفس المصير الذي لحق بمسلمي الأندلس علي أيدي متعصبي المسيحية من الإسبان والبرتغال والمتحالفين معهم من الأوروبيين، وتجلي ذلك منذ الوهلة الأولي لاستنجاد الجزائريين بهم، ومما لاشك فيه أن رابطة الدين هي الدافع الرئيسي لتلبية هذا النداء ودخولهم للجزائر في 1518م، بحيث بدأت تعبر فعليا علي الوجود العثماني في البحر الأبيض المتوسط وسواحل شمال إفريقيا، وأصبحت قاعدة للجهاد البحري ضد القوي المسيحية .

ولقد ساهم وجودهم في إدخال عدة تغييرات علي الحياة الاجتماعية للجزائريين، حيث أثروا بدرجات متفاوتة في مختلف مجالات الحياة، خاصة في التركيبة الاجتماعية التي تميزت بالتنوع العرقي، بحيث كان لكل فئة مكانتها في المجتمع، بالإضافة إلي العادات والتقاليد التي جلبها العثمانيون معهم وتأثر بها الجزائريون.

لكن مع نهاية الوجود العثماني في الجزائر1830م، ودخول الاستعمار الفرنسي، تغيرت الحياة الاجتماعية للجزائريين جذريا، بحيث جاءت فرنسا بعدَّة سياسات بهدف تكريس وجودها وحاولت من خلالها القضاء علي الشخصية والهوية الوطنية، والذي برزت بعدة نتائج انعكست سلبا علي الجزائريين من جميع النواحي، ونحن في موضوعنا هذا سنركز علي الدراسة الاجتماعية مع نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ومن خلال هذا السياق التاريخي يأتي بحثنا في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر بعنوان **الحياة الاجتماعية في الجزائر 1800.1852م.**

أهمية الموضوع :

أما أهمية الموضوع فلقد حاولنا من خلاله أن نبين العديد من النقاط أهمها:

_ معرفة تاريخ المجتمع الجزائري وتركيبته بالإضافة إلي نشاطه و عاداته وتقاليده في نهاية العهد العثماني

_ التعرف علي أهم الفئات الاجتماعية المكونة لهذا المجتمع.

_ إبراز بعض الجوانب التي ضلت خفية فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية في نهاية العهد العثماني وكيف تحولت أثناء الدخول الفرنسي للجزائر، مع كل الممارسات التي لحقت بالسكان خاصة وبمقومات الدولة الجزائرية عامة.

أسباب اختيار الموضوع :

ولقد كانت لنا أسباب عديدة لاختيار هذا الموضوع تمثلت فيما يلي :

الذاتية:

لقد اخترت هذا الموضوع لكونه:

. موضوع حيوي يبرز لنا طبيعة المجتمع الجزائري واهم عاداته وتقاليده في الفترة ما بين(1800_1852).

. اهتمامي الذاتي للتعرف علي حياة الجزائريين نهاية العهد العثماني و ما تغير أثناء دخول الاحتلال الفرنسي.

الموضوعية:

أما أهم الأسباب الموضوعية التي أدت بنا إلي اختيار هذا الموضوع فتتمثل فيما يلي :

– تركيز معظم الباحثين في بحوثهم ودراساتهم علي الجوانب السياسية والعسكرية وإهمالهم للجانب الاجتماعي في الجزائر .

_ إبراز أهمية تفاعل الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الجزائري فيما بينها في الفترة مابين 1800_1852م، والتعرف علي الموروث العثماني في الجزائر.

_ الوقوف علي أهم التغيرات التي طرأت علي المجتمع الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

_ محاولة إبراز تأثير التواجد الفرنسي علي الحياة الاجتماعية للجزائريين، وماهو موقف الشعب الجزائري من هذا التواجد.

أهداف الدراسة :

ولقد وضعنا مجموعة من الأهداف التي سنحاول من خلالها الوصول إلي حقائق تاريخية من اجل بناء تصور متكامل حول الموضوع وكان أهمها:

– محاولة إعطاء صورة موضوعية عن المجتمع الجزائري وطبيعة العلاقات السائدة بين مختلف الشرائح الاجتماعية.

– نزع اللبس أو الغموض الذي ميز الحياة الاجتماعية في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

– معرفة مدي تأثير الأتراك والاستعمار الفرنسي علي المجتمع الجزائري.

– محاولة إعطاء أهمية للتطورات الاجتماعية في الفترة مابين 1800-1852م.وانعكاساتها علي حياة الجزائريين.

الإشكالية:

ومن خلال ما سبق ارتأينا إلي وضع الإشكالية التي سنحاول من خلالها الوصول إلي العديد من النتائج التي تخص الدراسة وهي كالتالي :

مامدي تأثير التواجد الفرنسي علي الحياة الاجتماعية للجزائريين، وما مصير الموروث العثماني في هذا الجانب؟

الأسئلة الفرعية:

وللإجابة علي هذه الإشكالية نطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

_ ماهي أهم الفئات المكونة للمجتمع الجزائري نهاية التواجد العثماني؟

_ فيما تمثلت مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر أواخر العهد العثماني؟

–ماهي التغيرات التي طرأت علي المجتمع الجزائري مع دخول الاحتلال الفرنسي1800-1852؟

_ ماهي أهم السياسات التي اتبعتها فرنسا للقضاء علي المجتمع الجزائري؟

_ كيف كان رد فعل المجتمع الجزائري اتجاه هذه السياسة؟

المنهج المتبع في الدراسة:

أما المنهج المتبع فان طبيعة الموضوع هي التي حددته لذا اتبعت في دراسة موضوع البحث علي:

– **المنهج التاريخي الوصفي:** حيث طبق وفقا لسرد مختلف الحقائق ووصفها، لمعرفة اهم التفاصيل التي ميزت المجتمع الجزائري في الفترة المدروسة.

– **المنهج المقارن:** من خلال دراسة الحياة الاجتماعية في الجزائر في ضل الوجود العثماني ومقارنتها بالحياة الاجتماعية أثناء التواجد الفرنسي بالجزائر.

دراسة الخطة:

للإلمام بموضوع الدراسة والإجابة عن الإشكالية المطروحة، قمنا بتقسيم خطة البحث إلي ثلاث فصول تندرج تحتها عناوين فرعية وهي كالأتي:

أولا **مقدمة** وضعنا من خلالها تمهيد عن موضوع الدراسة، وأهداف الدراسة وأسباب اختيار الموضوع وأهمية الدراسة والإشكالية والأسئلة الفرعية بالإضافة إلي اهم المراجع المعتمدة والصعوبات، والدراسات السابقة.

أما **الفصل الأول** فلقد جاء بعنوان تركيبة المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني(1800_1830) ، اشتمل علي ثلاث مباحث، اندرج المبحث الأول بعنوان الطبقة الخاصة في الجزائر والمبحث الثاني تناول الطبقة العامة في الجزائر بالإضافة إلي المبحث الثالث الذي ضم أهل الذمَّة أواخر العهد العثماني في الجزائر، ثم **الفصل الثاني** الذي اندرج بعنوان مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر (1800_1830)، تناولنا من خلاله في المبحث الأول النشاط الاقتصادي للسكان مابين الريف والمدينة بحيث درسنا من خلاله أهم الحرف والنشاطات التي مارسها المجتمع أواخر العهد العثماني، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان الموروث الثقافي العثماني، تطرقنا من خلاله إلي أهم العادات والتقاليد التي جاء بها العثمانيين وتأثر بها الجزائريون، أما **الفصل الثالث** الذي اندرج تحت عنوان الحياة الاجتماعية في الجزائر(1830_1852م)، أي بدايات الاستعمار الفرنسي للجزائر، بدأنا بالمبحث الأول الذي تناول النشاط الاقتصادي للسكان وتأثيره علي المجتمع، بالإضافة إلي المبحث الثاني الذي جاء بعنوان الأساليب الاستعمارية الفرنسية ضد المجتمع الجزائري، أما المبحث الثالث فتطرقنا من خلاله إلي انعكاسات السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري بدايات الاحتلال في الجزائر وأخيرا **الخاتمة** التي خرجنا من خلالها باستنتاجات في موضوع الدراسة .

المصادر والمراجع:

فرضت علينا طبيعة البحث أن نتطرق إلي دراسة التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة مابين (1800_1852م)، لذلك كانت معظم المصادر و المراجع المعتمدة تتعلق بالجانب الاجتماعي لتاريخ الجزائر، والتي تنوعت بين كتب بالعربية والأجنبية ومقالات ورسائل جامعية، تختلف أهميتها حسب دراستها للموضوع وسنذكر أهمها:

- كتاب **المرآة** للمؤلف حمدان خوجة، الذي عايش فترة نهاية الحكم العثماني في الجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي، بحيث قدم لنا مختلف أحداث هذه الفترة، وأفادنا في معرفة أحوال الجزائر في الفترة المذكورة.
- **مذكرات ويليام شالر**، قنصل أمريكا في الجزائر، لكونه مصدر هام عايش فترة مهمة من التواجد العثماني في الجزائر(1816_1824)، وأخذنا عنه معظم العادات والتقاليد الجزائرية في هذه الفترة.
- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية** وكذلك كتاب **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بحيث ركز المؤلف علي فترة التواجد العثماني في الجزائر وحاول إعطائنا فكرة علي ما كان سائد في تلك الفترة.
- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج1،وج3، وكتاب الحركة الوطنية الجزائرية ج1** بحيث أفادنا الكتاب الأول في دراسة المؤسسات الثقافية في الجزائر أثناء التواجد العثماني، أما الكتاب الثاني فأخذنا عنه بعض السياسات الفرنسية ضد المجتمع الجزائري.
- بالإضافة إلي أعمال الملتقي الأول والثاني **للعلاقات الجزائرية التركية**، والذي تحدث كثيرا عن الآثار المختلفة للعثمانيين في الجزائر.
- مجاهد مسعود وكتابه بعنوان **هذه هي الجزائر**، والذي تضمن معظم السياسات الفرنسية ضد الشعب الجزائري وانعكاساتها في مختلف الجوانب.

الصعوبات:

في أثناء الدراسة عادة ما تواجه الباحث عدة صعوبات تكون عائقا في إتمام بحثه، أو تحول دون وصوله إلي حقيقة تاريخية في إطار البحث، ونحن بدورنا واجهتنا بعض الصعوبات في دراستنا للموضوع كانت أهمها:

_ صعوبة التحكم في موضوع الدراسة، لكونه موضوع متشعب، لأن للحياة الاجتماعية إطار واسع يحتاج إلي تدقيق، وإلي وقت كبير بالإضافة إلي دراسة مطولة.

_ تناقض الآراء في بعض المراجع فيما يخص الحياة الاجتماعية في الجزائر1800_1852م.

الدراسات السابقة:

تعتبر الدراسات السابقة من بين المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، والتي هي قريبة من موضوع دراستنا وكان أهمها:

_ مذكرة ماجستير بعنوان **المجتمع الجزائري وفاعليته في العهد العثماني،** "لأرزقي شويتام" والتي تناول فيها طبيعة المجتمع والعلاقات السائدة بين الشرائح الاجتماعية، ونحن بدورنا قد أفادتنا هذه الدراسة بتعريف بفئات المجتمع وأهمية ومكانة كل فئة في العهد العثماني، لكن لم يذكر المؤلف أهم العادات والتقاليد التي ميزت المجتمع في الفترة المذكورة وهذا ما سنحاول أن نتعرف عليه في بحثنا هذا.

_ كذلك كتاب بعنوان **الجزائر في عهد الدايات،** وهو عبارة عن دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية للمؤلف" احمد بكري"، ولقد أخذنا من خلال هذه الدراسة بعض العادات والتقاليد للجزائريين أواخر العهد العثماني، لكنها لم تتطرق إلي ما آلت إليه أحوال المجتمع الجزائري ما بعد التواجد العثماني، أي أثناء دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا.

_ أطروحة دكتوراه "لسلوان رشيد رمضان"، بعنوان **الحياة الاجتماعية في الجزائر 1830_1871م،** والتي تناول من خلالها أهم السياسات الفرنسية ضد المجتمع الجزائري وانعكاساتها أثناء الاحتلال، ونحن من خلال هذه الدراسة استفدنا من معرفة سياسة فرنسا و تأثيرها علي المجتمع، بالإضافة إلي انعكاسات هذه السياسة علي الجزائريين، لكن هذه الدراسة أهملت بعض الشيء أهم رد للجزائريين علي السياسة الفرنسية ألا وهي المقاومة، والتي تعتبر من بين أهم انعكاسات السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري، ونحن بدورنا من خلال بحثنا هذا سنحاول أن نذكر ما تغاضت عليه هذه الدراسة.

الفـصل الأول:

تركيبة المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني

(1800-1830)

المبحث الأول:الطبقة الخاصة في الجزائر

المبحث الثاني: الطبقة العامة في الجزائر

المبحث الثالث:أهل الذمة

لقد كانت الجزائر في ظل الحكم العثماني منطقة ذات تنوع اجتماعي، وذلك لاختلاف السكان فيها، حيث كانت تمثل إحدى المحطات التي توافدت عليها الأجناس من جهات مختلفة ما بين 1519 و1830، ولم يكن تنظيم المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني تنظيما طبقيا على شاكلة ما عرفته أوروبا خلال العصور الوسطى، وإن كانت هناك فئات اجتماعية حضيت بامتيازات أدت إلى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة حسب خصوصية ومكان إقامة كل فئة، بحيث أن لكل منها خصائصها ومميزاتها ، ميزها عن غيرها من الفئات الأخرى، أما نحن فقد قسمنا المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني حسب مكانة كل فئة في المجتمع.

المبحث الأول: الطبقة الخاصة في الجزائر

تعتبر الطبقة الخاصة من أهم الطبقات التي تميزت عن باقي سكان الجزائر، بحيث كانت تتمتع بعدة امتيازات مكنتهم من احتلال مكانة مرموقة في المجتمع ومن أهمهم، الأتراك الكراغلة والحضر.

المطلب الأول: الأتراك

كان الأتراك*يمثلون إحدى الفئات الاجتماعية المهمة في مدينة الجزائر وكثير من المدن منذ أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية وأصبحت واحدة من ولاياتها منذ عام 1519م، وهم أهم عنصر وفد على الجزائر خلال هذه الفترة حيث يعتبرون خليطا من العرقيات الذي كان يظم أجناسا مختلفة اللسان والعرق والجغرافيا لكنها تتفق في الولاء للإسلام والسلطان، فقد كان

---

*ينتمي الأتراك العثمانيون إلى القبائل التركمانية بقلب آسيا هاجرو موطنهم الأصلي بأذربيجان واتجهوا غربا إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى على الأناضول، وبنو دولتهم على حساب الدولة البيزنطية بعد فتح عاصمتها على يد محمد الثاني في 1453م، ولقد توسعت الدولة العثمانية أواخر القرن 15م فشملت كامل بلاد البلقان والجنوب الغربي وجزر بحر الأرخبيل وتركت في كل قطر من الأقطار التي فتحتها نخبة من المسلمين لنشر الدين الإسلامي. ينظر/ زوليخة اسماعيلي المولودة علواش: **تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلي الاستقلال**، دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص: 200.

منهم الباشاوات والوزراء والبايات ، والأغوات كما كان منهم أعضاء الديوان أو البرلمان[1].

ولقد تشكلت النواة الأولى لفئة الأتراك العثمانيين في الجزائر من الجند الإنكشاري (ينظر الملحق رقم1) ومن المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520م) إلى خير الدين بربروس* في أعقاب انضمام الجزائر للدولة العثمانية[2] والأتراك المقيمين في الجزائر معظمهم من الانكشارية* لكن فئة قليلة منهم أو وطبقة من المدنيين الذين يسمون الواحد منهم خوجة أو الكاتب وهم ممن يعرفون القراءة والكتابة[3] وهناك كذلك من كان يمارس حرفا صناعية وأعمالا أخرى دون السلطة أو السياسة[4].

أما الصنف الثاني فهم أتراك العقيدة وهم من المسيحيين المرتدين عن دينهم ويلتحقون بفئة الأتراك العثمانيين بعد أن يعتنقوا الإسلام وكانوا يسمون بالأعلاج وتعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا[5]، وبمجرد ارتداد أحد الأسرى المسيحيين عن دينه فإنه يستطيع الدخول في خدمة الحكومة ويصبح له الأمل في التأهل لكل المناصب العالية جدا، وإن الوضعية القانونية لكل

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1831**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 222.

*ولد في 1470م، في جزيرة ميديلي بليونان من أب تركي اسمه يعقوب بن يوسف وأم أندلسية ،وكان له أربعة إخوة منهم عروج ، وأطلق عليهم اسم بربروسا ومعناه ذوي اللحية الشقراء. ينظر/بسام العسلي: **خيرالدين بربروس والجهاد في البحر(1470ـ1547م)**،دار النفائس، بيروت، ط1، ص:19-26.

[2] أرزقي شويتام : **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2006، ص: 61.

*الانكشارية جمع كلمة انكشاري وهي عبارة تعني "ينيجيري" وتتكون من كلمتين "يني" تعني الجديد و"جيري" النظام أي النظام الجديد، وهو مصطلح أطلقه لأول مرة السلطان أورخان الثاني (1326-1362). ينظر/ درقاوي منصور: **الموروث الثقافي العثماني في الجزائر**، مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث،اشراف: فغرور دحو، جامعة وهران، 2014-2015، ص: 11. وينظر كذلك/ محمد دراج: " تأسيس إيالة الجزائر"، **مجلة عصور**، العدد 16، جامعة وهران، ديسمبر 2010، ص: 32.

[3] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى غاية 1962)** ، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص: 24.

[4] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 62.

[5] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1518-1830)**، دار هومة للطباعة، ط2، الجزائر، 2002، ص: 356.

المسيح المرتدين كانت أحسن من سكان الجزائر المسلمين من غير الأتراك[1] ، ولقد اتخذ هؤلاء الأعلاج الجزائر وطنا لهم ليحسنوا أوضاعهم المادية وتحقيق طموحاتهم، وذلك بتخليهم عن المسيحية واعتناقهم الإسلام [2].

ومن أسباب تخلي هؤلاء الأعلاج عن دينهم واعتناقهم الإسلام هو الإرادة في التخلص من العبودية ، فهم من الأسرى اللذين استولى عليهم رياس البحر*، وبعد أن يعتنق هؤلاء العبيد الإسلام تنشأ علاقة وثيقة بينهم وبين أسيادهم تشبه علاقة الآباء و الأبناء، بحيث إذا مات علج دون أن يترك وريثا تعود أملاكه إلى سيده الذي حرره، وإذا مات السيد المحرر دون أن يترك وريثا فإن أعلاجه هم الذين يرثونه[3].

ولقد ظلت الأقلية التركية قليلة العدد إذ لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن الـ 16م عشرة آلاف نسمة، ولم يزد في الربع الأول من القرن الـ17م عندما زاد السكان عن 12 ألفا، وظل هذا العدد ثابتا حتى أوائل القرن الـ19م[4]، وعلى الرغم من قلة فئة الأتراك في الجزائر إلا أنها اعتبرت نفسها في أعلى السلم الاجتماعي في كامل ، إذ إن عناصرها وجدت نفسها فوق المجموع العام وكأقلية تميزت على الأغلبية فلم تختلط مع بقية السكان سواء كان ذلك في الأرياف أو المدن فكانت تسيطر على الحكم ولها نفوذ واسع بحكم تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة[5].

---

[1] ويليام سبينسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر 2007، ص: 99.

[2] جون ب.وولف : **الجزائر وأوربا (1500. 1830)**، تر:أبو القاسم سعد الله ، دار الثقافة الجزائر،2011، ص:162.

* وهم طائفة من الجيش البحري تأسست هذه الفئة منذ عهد خير الدين الذي كون منهم 3 آلاف جندي، وتتألف من الأتراك والأندلسيين والجزائريين في أوائل الحكم العثماني، ثم أصبحت الكثرة منهم تتألف من الفئة التي اعتنقت الإسلام وهم العلوج. ينظر / رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000، ص: 352.

[3] زوليخة اسماعيلي المولودة علواش: المرجع السابق، ص: 316.

[4] محمد مقصودة: **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد دادة، جامعة وهران، 2014، ص: 62.

[5] محمد حمد المشهداني، سلوان رشيد: " أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مجلد 5، العدد 16، أوت 2013، جامعة تكريت(العراق)، ص: 425.

وترجع قلة الأتراك في الجزائر إلى حالة العزوبية التي كانوا يعيشونها وعدم تبني أبنائهم الكراغلة الذين اعتبروهم عنصرا لا يرتقي إلى مستوى الأصول التركية حتى لا تربطهم صِلاة المصاهرة وروابط القربى بالأسر المحلية، والعزلة التي فرضوها على أنفسهم تعود حسب اعتقادهم إلى أهمية أدوارهم، مما دعاهم للحفاظ على امتيازاتهم، وميل غالبية العناصر التركية إلى التمسك بعاداتها ولغتها وأسلوب عيشها ونمط حياتها[1].

فلقد كان بعض الجند الأتراك يفقد امتيازاته بمجرد مصاهرته واختلاطه بالسكان، وفي بعض الأحيان يتعرض أهل الزوجة الراغبين في خلق صلات مصاهرة مع العناصر الحاكمة إلى البطش وتفرض عليهم عقوبات حتى يكونوا قدوة لغيرهم[2].

ويرجع بعض المؤرخين ظاهرة التمييز والانغلاق التي يتميز بها الأتراك العثمانيون بالجزائر إلى أن العثمانيين كانوا خارج البلاد ولم يكن من بينهم من ولد بالجزائر أو تربى بين أهلها أو تعلم لغة أهل البلاد وعاداتهم[3].

أما ميزتهم ففي بعض الأحيان يتصفون بالانطواء والعجرفة وعزّة النفس المبالغ فيها[4] فأحط الأتراك فخرا أوضعهم شأنا ،يرفض أية فكرة للمساواة بينه وبين الأهالي، أو النظرية التي تعلموها جيلا عن جيل والقائلة بأن التركي ولد ليحكم ويتولى القيادة والجزائري والأهلي ليخضع[5].

أما الجندي العثماني في الجزائر كان أبرز ما يميزه الانضباط والشجاعة والتواضع فهم محاربون أقوياء جدا ومطيعون حيث كانوا يمثلون العمود الفقري للنظام القائم عندئذ في البلاد

---

[1]زوليخة اسماعيلي المولودة علواش، المرجع السابق، ص:319.

[2]عبد القادر بالغيث: **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية، إشراف: احمد الحمدي، جامعة وهران، 2014، ص: 105.

[3]أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1، ص: 105.

[4]ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج4، ص: 160.

[5]ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 56.

لكنهم مغرورون جدا وجهلة ومشاغبون ويحبون تجاوز السلطة[1]، ونظرا لهذه الأوضاع الخاصة التي تعيشها الأقلية التركية في الجزائر أصبحت علاقتها مع بقية السكان تتصف بالروح العدائية والنفور المتبادل [2].

وفي أواخر العهد العثماني في الجزائر عرف عدد الأتراك انخفاضا ملحوظا حتى أصبح عام 1830م لا يتجاوز 4 آلاف شخص[3] وذلك لعدة أسباب منها:

- قلة المجندين من المشرق وكثرة الحروب الداخلية وانتشار الأوبئة والكوارث الطبيعية.
- القرار الذي أصدره السلطان العثماني محمود الثاني في عام 1816م والذي منع بموجبه الجزائر من تجنيد الأجناد من الولايات العثمانية وذلك بسبب اعتداء الرياس الجزائريين على بعض اليونانيين الذين كانوا تحت رعاية الدولة العثمانية إلا أن السلطان تراجع عن قراره فيما بعد[4].

المطلب الثاني: الكراغلة

لقد كانت لهذه الفئة أهمية كبيرة من حيث مكانتها في المجتمع فهي المجموعة التي تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي والتي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الإنكشاري والنساء الجزائريات[5].

ويعود معنى هذا المصطلح إلى كول (العبد) وأغلو (الابن) أي ابن العبد[6]، ولقد ظهرت هذه الفئة أول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات العثمانية مثل مدينة الجزائر، تلمسان

---

[1]أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 3، الجزائر، 1982، ص: 49.

[2]ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص: 42.

[3]عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ج1، ص: 213.

[4]أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 62.

[5]أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص: 105.

[6]حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تحق: العربي الزوبيري، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006 ص:62.

معسكر، مستغانم، المدية، مليانة، بسكرة،...الخ، ولقد ساعد الكراغلة على أن يحتلوا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي صلتهم بالأتراك وعلاقتهم الخاصة بالأهالي[1]، حيث كانوا يشكلون طائفة متميزة في معظم المدن التي أقاموا بها[2].

ورغم الأصول التركية الواضحة لجماعة الكراغلة إلا أنهم أبعدوا عن المهام الرئيسية للدولة واعتبروا فئة مميزة لا ترتقي لمنزلة الأقلية التركية القادمة من الأناضول[3] وأنهم أبناء عبيد رغم طموح هذه الفئة الصعود إلى المرتبة الأولى في المجتمع بالميلاد واللغة والانتماء العائلي[4].

ولقد أبعدت فئة الكراغلة عن السلطة والمناصب الحساسة وحرمانهم من التمتع بنفس الامتيازات التي يستفيد منها الأتراك إلى إمكانية ارتباط الجنود الكراغلة عن طريق المصاهرة بالعائلات الجزائرية مما يزيد من عددهم ويشكلون خطرا على الدولة[5]، لا سيما أن الكراغلة بحكم قرابتهم من الأهالي وارتباطهم بالبلاد كانوا قادرين على تكوين حلف وطني يهدد امتيازات الطائفة التركية[6].

أما علاقة الكراغلة بمختلف فئات الجزائر العثمانية فإنها لم تكن على وتيرة واحدة أو طابع محدد، كما أنها تغيرت خلال مدة التواجد العثماني بالجزائر، فهناك فترات كان فيها الكراغلة أقرب للسكان، بحيث تقاسموا معهم كره العثمانيين وحب التخلص منهم والتحالف ضدهم، وتجلى ذلك من خلال الثورات والتمردات التي شارك فيها الكراغلة أو قادوها بأنفسهم، وهناك

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 121.

[2] زوليخة اسماعيلي ، المرجع السابق، ص: 322.

[3] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص 358.

[4] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار البصائر، ط2 الجزائر،2009، ص: 199.

[5] أرزقي شويتام، المرجع نفسه ، ص: 121.

[6] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص:44.

فترات كانوا أميل فيها إلى الأتراك منهم إلى السكان خاصّة مع نهاية الوجود العثماني لمّا احتاج لهم العثمانيون لتغطية العجز في الجيش فتقاربت مصالح الطرفين[1].

وبحكم استقرار معظم الكراغلة في المدن فلقد غلب عليهم الطابع الحضري الذي ورثوه وتأثروا به، وقد كان ميزات الحضر هو المشاركة في الحياة الاقتصادية بفاعلية كبيرة، من خلال الاشتغال بالمهن الصناعية والأعمال التجارية حيث ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والتجار النشيطون، وفي هذا الإطار فقد احترف الكراغلة عدة أنشطة اقتصادية احتكروا بعضها وشاركوا غيرهم في البعض الآخر، فكان منهم التجار والحرفيون، وقد شكلت المدن مقرا للحرف الحضرية والمراكز التجارية[2].

ومما لا شك فيه أن اضطهاد الكراغلة وإبعادهم عن أي وظيفة في جهاز الدولة لمدة نصف قرن أدى إلى إحداث القطيعة بينهم وبين الأتراك[3]، وأصبح المجال الوحيد الذي يعملون فيه هو النشاط البحري كون تلك المهمات بعيدة عن التأثير في تغيير السلطة التي كان يتمتع بها الأتراك[4]، لكن مع مرور الوقت سمح للكراغلة من تولي بعض المناصب المهمة على مستوى الدولة ابتداء من أواسط القرن الـ18م، وعندما استهل القرن الـ19م أصبحت غالبية الوظائف في مراكز من اختصاص الكراغلة[5]. ولقد كان لسياسة التقارب هذه أثر سيء في العلاقة بينهم وبين الأهالي، إذ أصبح الجزائري العادي ينظر للكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراك الحاكمين[6].

---

[1] محمد مقصودة ، المرجع السابق ، ص: 86.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص: 97.

[3] زوليخة اسماعيلي: المرجع السابق، ص: 324.

[4] محمد حمد المشهداني، سلوان رشيد، المرجع السابق، ص: 426.

[5] زوليخة اسماعيلي ، المرجع السابق، ص: 324.

[6] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 44.

ومما يلاحظ أن الكراغلة رغم تزايد قوتهم في أواخر العهد العثماني إلا أنهم لم يعرفوا كيف يقومون بالدور المنتظم باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحاكم من المحكوم إذ اكتفوا بالمنافسة الشديدة للعناصر التركية للحصول على ترضيات، فلم يعودوا يطمحون إلى ارتقاء المناصب السياسية وإنما أصبح اهتمامهم منصبا على تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم وتنشيط تجارتهم[1].

ولعل التدقيق في كل ما سبق يقودنا إلى استنتاج مفاده أن الكراغلة ورثوا عن آبائهم التطلع إلي السلطة والثروة سرعان ما نافسهم الأتراك عليها، في حين ورثوا من وضعية أمهاتهم امتيازات اقتصادية واجتماعية جعلت منهم شخصية هامة في المجتمع[2] .

المطلب الثالث: الحضر

لقد كانت طبقة الحضر في أواخر العهد العثماني في الجزائر، فئة ذات فعالية اجتماعية ويطلق لقب الحضر على السكان القاطنين في المدن منذ الفترة الإسلامية، وما انضم إليهم من الطائفة الأندلسية، وكانوا يشتغلون في الحرف والتجارة والأعمال الإدارية، ورغم دور هذه الفئة الاقتصادي والاجتماعي إلا أنها كانت محرومة من التطلع السياسي لأن احتكار العثمانيين للسلطة منعها من ذلك[3]، إضافة إلى أن مصالحهم لم تكن مهددة وهذا ما جعل مسألة صراعهم مع السلطة غير مطروحة[4].

ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة: الأشراف والأندلسيين .

أ/ الأشراف:

تمثل فئة قليلة العدد؛ وهم الذين ينتسبون إلى آل البيت، كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية ودينية وسياسية حيث كانوا يحكمون في النزاعات بين الأهالي وأصحاب السلطة ويحمون

---

[1] زوليخة اسماعيلي ، المرجع نفسه، ص: 325

[2] محمد مقصودة، المرجع السابق، ص: 84.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص: 155.

[4] عبد القادر بالغيث:المرجع السابق، ص: 107.

المهاجرين والضعفاء من الناس، فلذلك تمتعوا باحترام كبير[1]، وهم أحسن وضعية عن غيرهم من الأهالي، حيث أنهم معفيين من الضرائب، كما تقلدوا مناصب القضاء والإفتاء والتعليم ، وغيرها من المقاليد الهامة مكنتهم من اكتساب مكانة مرموقة في المجتمع [2].

ب/الأندلسيين:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني هجرة أندلسية واسعة وتتمثل هذه الفئة من الذين طردهم المسيحيون من إسبانيا خلال القرن الـ16م وتوافدوا على الجزائر عن طريق مرسيليا وموانئ فرنسية أخرى[3]، كما يطلق عليهم كذلك اسم الموريسكيون ولم يكن بإمكانهم الالتحاق بالجيش أو الوظائف العليا لذلك انتهجوا عددا من الصناعات الأخرى مثل: العمل التجاري وصناعة البارود والخزف... [4]، كما ساهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية وخاصة منها الحرف[5].

ورغم أن أغلب الأندلسيين كانوا يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة ويرتقبون الوقت الذي يتمكنون فيه من العودة إلى مواطنهم الأصلية إلا أن التأثير الأندلسي في المدن كان

---

[1] عبد القادر بالغيث:المرجع السابق، ص: 120.

[2] ليلي تيتة:" تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائريين خلال القرن 19م" ،**مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، العدد 17، 2014، ص:124 .

[3] عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)**، ط2، وزارة الثقافة ،الجزائر، 2005، ص: 124.

[4] محمد محمود سلوان رشيد، محمد المشهداني، المرجع السابق، ص: 426.

[5] دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي،تونس، 2003 ص: 38.

عميقا جدا ويمس مختلف أوجه الحياة وذلك لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الحضرية الأخر[1]، فقد أصلحوا الأراضي الزراعية وأنشئوا مصانع للنجارة والحدادة، كما تولوا وظائف السلك التعليمي والقضائي وظهر منهم الفقهاء والعلماء[2]، وهذا ما مكنهم من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف شرائح وطوائف المجتمع الجزائري في العهد العثماني[3].

ولقد حرم على هؤلاء الأندلسيين مثلهم مثل الجزائريين والكراغلة من الاشتراك في الشؤون العامة بأجمعها وأعفوا من الخدمة العسكرية فلم يبدوا أي مقاومة للحكم التركي وقنع أغلبهم من نصيبهم من غنائم القرصنة ومن الحرف والصناعات المختلفة[4].

ولم تقتصر هجرات الأندلسيين على مدينة الجزائر فقط بل شملت حتى مدن أخرى مثل شرشال، البليدة، القليعة، وتلمسان،...[5]، ومن أشهر العائلات الأندلسية التي سكنت الجزائر واشتغل أفرادها بالتجارة والصناعة عائلة: ابن رامول، ابن هنيّ، ابن زوَّان، ابن لكبابطي، خوجة، وابن الشاهد[6].

---

[1] زوليخة اسماعيلي المولودة علواش، المرجع السابق، ص: 328.

[2] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**،ج1، ص: 214.

[3] حنيفي هلايلي: **دراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص: 135.

[4] عمار عمورة: المرجع نفسه، ص: 215.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص: 359.

[6] ليلى تيتة، المرجع السابق، ص: 135.

المبحث الثاني: الطبقة العامة في الجزائر

تتألف الطبقة العامة من مجموعات سكانية، هي أقل الفئات الاجتماعية أهمية في المجتمع الجزائري خلال التواجد العثماني، حيث تعاني معظمها من التهميش والبؤس والحرمان وتفتقر إلى موارد العيش الكافية.

المطلب الأول: سكان المدن

تتشكل هذه الطبقة من أناس غادروا الأرياف بحثا عن العمل في المدن الكبرى خاصة في مدينة الجزائر وهم معروفون باسم القبيلة والجهة التي جاؤوا منها[1]، حيث كانت تصنف حسب أصولها ومناطق انتمائها ويطلق عليهم اسم البرانية وتتمثل في:

أ ـ الجيجليون

يعتبرون من أقدم العناصر البرّانيّة المستقرة بالجزائر، وهم سكان مدينة جيجل الذين اعتادوا الهجرة إلى مدينة الجزائر، للعلاقة الخاصة التي كانت تربطهم بالأتراك منذ استقرار الأخوين بربروس عروج وخير الدين ومن معهما من الأتراك بجيجل وانتقالهم بعد ذلك إلى المدينة، ولقد تمكن الكثير منهم الحصول على ثروات وامتلاك المخابز[2] والمنازل، حيث امتهنوا مهنة طهي الخبز للإنكشارية، اعترافا لمؤازرتهم للأتراك في حرب الإسبان[3].

ب/ البساكرة:

هم سكان مدينة بسكرة وواد ريغ وسوف وتقرت، قدموا إلى المدن الكبرى لطلب العيش[4] كما يدخل وصفهم كل من جاء من جهة الصحراء الشرقية وكان أسمر أو أسود البشرة[5] (ينظر الملحق رقم2)، ولقد كانوا يمتهنون الأعمال الشاقة والمتواضعة مثل حمل الأثقال

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 359.

[2] زوليخة اسماعيلي ، المرجع السابق، ص: 334.

[3] درقاوي منصور، المرجع السابق ،ص: 18.

[4] زوليخة اسماعيلي ، المرجع نفسه، ص: 332.

[5] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص: 156.

والحراسة[1]، والعمل في ورشات المرسى، ويوظفون كحراس على الممرات لمختلف الأحياء بمدينة الجزائر فيغلقونها خلال الليل[2]حيث كانوا يحرسون الأسواق مقسمين على أحياء المدينة وكانت كل مجموعة تحتفظ بمفاتيح الحي عند حفظ الأمن فيه[3].

فالبسكريون يخضعون لسلطان الجزائر ويعتبرون من أهم العناصر في المملكة، وهم قوم مسالمون ومخلصون، كثيرا ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بالثقة، كما يحتكرون صناعة الخبز، ويبدو أن عاهة فقد البصر منتشرة كثيرا عند فئة البساكرة، وهي قد تكون راجعة إلى مناخ بسكرة الصحراوي، كما أنهم لا يدينون بغير الدين الإسلامي، ويتولى شؤون جماعة البساكرة أمين يعرف لدى العامة بـ"البسكري سيدنا" وهو مع بساطة لباسه وتواضعه كان له نفوذ قوي وكلمة مسموعة لدى الحكام[4].

ت/ الأغواطيون

هم الذين ينتسبون إلى مدينة الأغواط التي تبعد عن مدينة الجزائر حوالي 520 كلم ويعود أصلهم إلى قبيلة الزناجرة وأولاد نايل[5]، فهم فئة قليلة العدد والأهمية اختصوا في المكاييل والأوزان ونقل البضائع وعملوا في الدكاكين لبيع الزيوت أو الحراسة لقلة مصدر الرزق، أما الأغنياء منهم فكانوا تجارا يأتون إلى العاصمة لبيع منتوجاتهم كالزيت والتين والفحم والصابون، كما اشتهروا كذلك بالتنظيف ونقل الأوساخ[6].

---

[1]ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 45.

[2]ويليام سبينسر: المرجع السابق، ص: 100.

[3]خير الدين سعيدي: " الجهاز الأمني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة "كان" التاريخية**، العدد 19، مارس 2013، ص :136.

[4]ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 110.

[5]زوليخة اسماعيلي ، المرجع السابق، ص: 336.

[6]ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص:46.

ث/ بني ميزاب

ينتمي هؤلاء السكان إلى مدينة وادي ميزاب عاصمتها غرداية، تقع على بعد 700 كلم جنوب الجزائر، ازدهرت فيها الحياة الفكرية والاقتصادية والعمرانية في العهد العثماني[1] وأصلهم ينحدرون من لاجئي الإباضيين الخوارج، الذين كانوا قد أسسوا عصبة مدن دينية ومذهبية في عمق الصحراء، ويصفهم "ويليام شالر" بقوله "..**الميزابيون قوم هادئون نشطون في التجارة ومشهورين بالأمانة والنزاهة في الأعمال، وبلدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الجزائر والامتيازات التي يتمتعون بها وتجارتهم تضمنتها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الدولة، وهم في الشؤون المدنية لا يعترفون بسلطة إلا للأمين الميزابي الذي يقيم في الجزائر، وأنا أعتقد أنهم يتمتعون بامتيازات كثيرة، فإلى جانب كونهم الوكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة مع داخل إفريقية، فهم يتمتعون أيضا باحتكار الحمّامات العمومية والقصبات والطواحن**" [2]، (ينظر الملحق رقم2)، ويحاول هذا الشعب ذو الطبيعة الخاصة أن يدين بسنة النبي، ومع ذلك فان جميع المسلمين يحتقرونهم ولذلك لهم مساجدهم الخاصة، ولا يجوز لهم الاجتماع في مكان يجتمع فيه المسلمون[3].

ج/ القبائل

تسمية القبائل مشتقة من الكلمة العربية "قبيلة" ويطلق هذا الاسم على سكان الجبال ويقطنون قرى يسمونها "دشرة" تتكون من أكواخ مبنية بالطين، انحدروا من المناطق الجبلية

---

[1] درقاوي منصور، المرجع السابق، ص: 36.

[2] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 111.

[3] سيمون فايفر، المرجع السابق،ص: 156.

القريبة من المدن الكبرى مثل: مدينة الجزائر، تلمسان، المدية، قسنطينة،...[1].

وكانت أشغالهم تتمثل في النسيج وصناعة الأواني البسيطة والآلات الزراعية، وإنتاج زيت الزيتون، وسيطروا كذلك علي أشغال البناء حيث اكتسبوا هذه المهنة في المناطق الجبلية التي كان سكانها يعتمدون علي بيوت الحجارة بنسبة عالية[2].

ح/ جماعة الوصفان أو الزنوج

وهي طبقة دخيلة على المجتمع الجزائري وتتألف من العبيد السود الذين قدموا من السودان عن طريق الواحات الصحراوية للعمل في المنازل، وقد تكاثر عددهم حتى أصبحوا مع نهاية القرن 18م مابين ألفين وثلاث ألاف نسمة بمدينة الجزائر وحدها، وكانت الفئات الحاكمة تمتلك العبيد كنوع من التباهي والثراء[3]، وكِان أغلبهم يشتغلون في المنازل ويقومون بأعمال التنظيف، وبعضهم يشتغل في المخابز وأعمال البناء والنسيج وصنع الحصير والقفاف بالإضافة إلى امتهان بعض الفنون الجميلة كالرقص والغناء والموسيقى، أما الأحرار فكانوا في شكل جماعات منظمة يرأسها أمين يدعى قائد الوصفان[4].

المطلب الثاني: سكان الأرياف

كان سكان الريف خلال العهد العثماني يمثلون الأغلبية الساحقة من المجتمع ما بين 90 و95 % من مجموع السكان[5]، وهذا ما جعل المجتمع الجزائري يأخذ طابعا ريفيا في معظم الجهات

---

[1] ويليام شالر ، المصدر السابق، ص:114.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي** ، ص: 358.

[3] مؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد، المرجع السابق، ص: 333.

[4] زوليخة اسماعيلي المولودة علواش، المرجع السابق، ص: 333.

[5] صالح عباد: المرجع نفسه، ص: 359.

ولقد انقسم إلى عدة قبائل:

أ ـ الأجواد

وتعني النبلاء وهم الذين فرضوا نفوذهم وحتى سلطتهم بالقوة في منطقة من المناطق تتسع أو تضيق حسب وضعية السلطة المركزية التركية، ولم يكن أمام الأتراك إلا الاعتراف بنفوذ هؤلاء الأجواد وفي الكثير من الأحيان يعلنون عليهم الحرب، ويكثرون الصراعات داخل عائلاتهم، فيناصرون صفا ضد آخر، اضطرت السلطة التركية للتعاون مع هؤلاء في الكثير من المناطق، وكان هؤلاء الأجواد أسيادا في مناطقهم يجمعون الضرائب ويرفضون الأعمال الشاقة ويجمعون الغنائم دون تدخل مباشر من السلطة المركزية، لكن هذه السلطة تحاربهم حين تشعر بأن قوتهم زادت وأصبحت تهددها[1].

ب ـ المرابطون

انتشرت هذه الفئة منذ القرن الـ15م في الأرياف وتواصل هذا الانتشار في العهد العثماني بقوة، حيث بلغت عدد العائلات المرابطية حوالي 185 عائلة سنة 1830م، وكانت قوة هؤلاء المرابطين ورجال الطرق تكمن في استعمالهم الدين كوسيلة ، وكان الجميع يخشاهم من الأفراد العاديين إلى رجال السلطة من الأتراك وكانوا يتنقلون في طول البلاد وعرضها دون الخوف من هجوم اللصوص وقطّاع الطرق عليهم[2].

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 361.

[2] المرجع نفسه، ص: 363.

*هو جزائري المولد والنشأة ،كرغلي الأصل أي من أم جزائرية وأب تركي ،ولد في حوالي سنة 1773م،بمدينة الجزائر نشا بها نشأة علمية ،كان من الناشطين في الشؤون السياسية للدولة،كان يعمل مستشارا لداي قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر ،توفي أواخر 1840م، من أهم مؤلفاته كتاب المرآة. ينظر/عميراوي حميدة: **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1800-1840)**، مذكرة ماجستير تاريخ حديث، ط1، الجزائر،1987، ص:61.

** اسم مشتق من كلمة "ربَط" والتي تعني الالتزام والتعهُّد، أي أن المرابط يعاهد الله ألا يتصرف إلا لما فيه خير الإنسانية ولذلك حتى بعد موتهم يبقى هؤلاء المرابطون محل توفير دائم. وهكذا فإن المرابط وهو ميت قد يحظى باحترام يفوق الذي كان من الممكن أن يحظى به وهو حي. ينظر/ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 19.

أما حمدان خوجة* فيقول عنهم" **يقطنون بين القبائل ويعلمون الأخلاق ويفسرونها، فعلى سخط أو على بركة المرابط* *تتوقف سعادة القبائلي، وكل من رغب في شيء فإنه يقدم القرابين ويتوجه إلى المرابط لكي يأمل في تحقيق ما تمنى**"[1].

ولقد كانت العلاقة بين الأتراك والمرابطين قوية مرتبطة بالمصالح المتبادلة، حيث يقوم المرابطون بالتوسط بين السكان والسلطة، ولعبوا دورا كبيرا في تجنيد المتطوعين لمحاربة الإسبان ومواجهة الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية، أما أهم دور قام به هؤلاء المرابطون هو سيطرتهم على المنظومة التعليمية التي كانت تعيد إنتاج أنفسهم وتدعم الحكم القائم[2].

ج ـ قبائل المخزن

إن بحثنا في أصول قبائل المخزن فإننا نجد أنها تنحدر من أصول مختلفة ويمكن تصنيفها إلى 3 أنواع هي: القبائل المحلية العريقة التي كانت تحتل الأراضي الخصبة الواقعة في المناطق التليّة أو القريبة من المدن منذ أقدم العصور، وفضلت منذ البداية التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها[2].

وهناك القبائل التي شكلها الأتراك العثمانيون من عناصر غير متجانسة تنحدر من أصول مختلفة وكان معظم أفرادها من المغامرين والفارين من قبائلهم الأصلية تفاديا لمبدأ الانتقام والعبيد الذين تم عتقهم، وقد أرغمتهم الظروف لوضع أنفسهم تحت خدمة الأتراك العثمانيين مقابل استفادتهم من الأراضي الزراعية.

---

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 18.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص:366.

[2] ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ص: 164.

[3] المرجع نفسه ، ص:165.

[4] صالح عباد، المرجع نفسه، ص: 366.

أما الصنف الثالث من قبائل المخزن فكان يتكون من بعض القبائل الممتنعة أو المستقلة التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل المخزن[1].

ولقد لجأت السلطة التركية إلى تجنيد بعض القبائل لاستعمالها كقوة ضاربة في الأرياف، من خلال جمع الضرائب من السكان وحفظ الأمن والاستقرار يقضي كل تمرد على السلطة ولقد كانت تتمتع بعدة امتيازات منها الانتفاع من أراضي البايلك وأدوات العمل الفلاحي، والإعفاء من الرسوم أو الضرائب من غير الزكاة أو العشور والاستفادة من الغنائم أثناء الحملات[2] فبفضل قبائل المخزن استطاع الأتراك أن يفرضوا سيطرتهم ويمدوا نفوذهم على جهات متباعدة من الجزائر[3]، ومن أشهر هذه القبائل المخزنية الحراكتة في الشرق، لعمامرة في القبائل، عبيد في إقليم التيطري [4].

أما الأسباب غير المباشرة التي جعلت الحكام الأتراك يستخدمونها و يعطونها صلاحيات دون بقية السكان فتتمثل فيما يلي:

_ قلة العنصر التركي دفعت الحكام الأتراك إلى استخدام قبائل المخزن لتكون لهم سندا داخليا وقوة حليفة ضد الأخطار الداخلية والخارجية.

_ اضطرت القوة التركية أن تعتمد كثيرا على قوة القبائل المخزن القادرة للتحرك والمهيأة للقتال في كل وقت بعد أن لم تعد تتلقى هذه الحكومة التركية في الجزائر أي دعم مادي أو بشري من مركز السلطة.

_ تواجد قبائل المخزن في المناطق الإستراتيجية من البلاد ساعد بصورة محسوسة على إبعاد خطر القبائل الجبلية والحد من عصيانها[5].

---

[1] ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص164،165.

[2] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص:366.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية في العهد العثماني**، ص: 216.

[4] ليلى تيتة، المرجع السابق، ص: 138.

[5] ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه، ص: 212.

د ـ قبائل الرعية

وهي القبائل التي أرغمتها عوامل مختلفة على الخضوع للإدارة العثمانية ومن جملة تلك العوامل:

_ كانت معظم القبائل تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة الممثلة في قبائل المخزن والحاميات العسكرية المرابطة في الأبراج ومدن البايلك.

_ كانت جل الأراضي الفلاحية الخصبة في يد قبائل المخزن والقبائل المتعاونة وبعض الأسر القوية أما نصيب قبائل الرعية فكان قليلا جدا وهذا ما جعل بعض القبائل تدخل في نظام الرعية للاستفادة من قطعة أرض.

_ أدت بعض الصراعات والحروب التي كانت تندلع بين القبائل الريفية بسبب التنافس حول المراعي ونقاط المياه ومحاولة فرض الوجود، ببعض القبائل الاستنجاد بالإدارة العثمانية والدخول تحت حمايتها[1].

ولم تحظى هذه الفئة بأي امتياز من السلطة التركية حيث كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة و تتعرض لكل أنواع الضغط والاستغلال وتفرض عليها الأعمال الشاقة فوضعيتها كانت أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية[2]، مما دفعها في بعض الأحيان إلى الثورة ضد الحكام الأتراك وحلفائهم من قبائل المخزن أملا في تحسين ظروفها المعيشية ، أو تحت تأثيرات خارجية[3].

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 18.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 367.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 49.

المبحث الثالث: أهل الذمّة

أهل الذمّة*وهم الأجانب عن البلاد وعن الإسلام وليس على المدن فقط وذلك لأسباب عديدة منها دينية، وحضارية ويقسمون إلى فئتين فئة اليهود و فئة الأوروبيين المسيحيين.

المطلب الأول: فئة اليهود

يشكلون العنصر الأهم بين الدخلاء من حيث قدم وجودهم في البلاد ويعود وجودهم في الجزائر وفي المغرب ككل إلى ما قبل الاستعمار الروماني[1]، ويتفرعون حسب أصولهم إلى ثلاثة أقسام: اليهود الأهالي التوشابيم المستقرين من العهد الروماني، ثم عرفوا باليهود العرب من طرف المسلمين الجزائريين، وثانيا اليهود الميغورشيم والمعروفين باليهود الأندلسيين، إضافة إلى اليهود الإفرنج أو يهود النصارى[2].

فاليهود التوشابيم أو الأهالي هم الذين استقروا بالجزائر منذ العهد الروماني كما تشتمل على بعض يهود الجزيرة العربية الذين هاجروا إلى الجزائر وشمال إفريقيا عامة بعد الفتح الإسلامي وأصبحوا مع مرور الزمن جزء منصهرا في المجتمع الجزائري ويصعب تمييزهم عن غيرهم من

---

* تعني اليهود والنصارى الذين يعيشون مع المسلمين في ظل الفتح الإسلامي وسمُّو بأهل الذمة لأن الرسول ﷺ أعطاهم ذمته وأمانته ،وكان عليه الصلاة والسلام يعرض دينه على النصارى واليهود فإن قبلوه دخلوا الإسلام وإن رفضوه يجب عليهم أن يعطوا الجزية وهي ثمن حماية المسلمين لهم. ينظر/ أمال معوشي: **يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-8701)**، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 09.

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص:361.

[2] حاج عمر إبراهيم: **التركيبة السكانية للجزائر خلال العهد العثماني**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19فبراير 2014، ص: 223.

الجزائريين[1].

أما اليهود الميغورشيم أو الأندلسيين هم الفئة التي لجأت إلى الجزائر عندما بدأت الدويلات والإمارات الأندلسية تتساقط تحت ضربات الإسبان المسيحيين، حيث طردوا من إسبانيا وصودرت أملاكهم وأجبروا على اعتناق المسيحية أو الموت ،ولقد تمكنت هذه الفئة من اليهود من اعتلاء الريادة والطليعة اليهودية بالجزائر وذلك بفضل تكوينهم الديني المتفوق على مستوى يهود الأهالي وبفضل إمكانياتهم الثقافية والعلمية والمادية والحضارية النابعة من البيئة الأندلسية[2].

أما الفئة الثالثة من اليهود فهم يهود النصارى أو الإفرنج، وتنتمي هذه الطائفة جغرافيا وثقافيا إلى أوروبا واستقرارها بالجزائر حديث العهد بحيث جاء متأخرا نسبيا من عمر الإيّالة* وكانوا يلقبون بالإفرنج أو اليهود النصارى.

ولقد تزايد عدد اليهود في النصف الأول من القرن الـ17م ولعل ذلك يعود إلى أعداد الوافدين من أوروبا، لكن في النصف الثاني من القرن الـ18م شهد تراجعا في عدد يهود الجزائر ولعل ذلك يعود إلى:

_ أولا: هجرة اليهود إلى الضفة المقابلة بسبب تراجع نشاط الأسطول البحري الجزائري والذي كان يوفر المادة الخام لأنشطة اليهود التجارية.

---

[1] فوزي سعد الله: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة، الجزائر،1996، ص:119.

*مصطلح إداري يقصد به الولاية أو النيابة ،والتي تعني تلك الوحدات الإدارية التي يرأسها والي أو حاكم ،ويقصد بإيالة الجزائر تلك الشخصية المعنوية التي تعبر عن الكيان السياسي للجزائر في الداخل والخارج ،وكان يطلق علي الجزائر في المراسلات الدبلوماسية تسمية مدينة أو مملكة الجزائر ،ولم تستعمل كلمة الايالة إلا في منتصف القرن 18،.ينظر /جمال قنان:**معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619.1830)**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر،الجزائر،1987، ص:64.

[2] فوزي سعد الله، المرجع نفسه، ص: 120.

_ ثانيا: مرض الطاعون الذي أصاب المنطقة ما بين 1787-1788 وأدى إلى وفاة 1771يهودي.

_ ثالثا: الظروف السياسية التي شهدتها الجزائر في نهاية القرن الـ18م والتي تميزت أحداثها بالثورة ضد الدّاي مصطفى سنة 1805م واغتياله بسبب علاقته مع اليهود[1].

أما مكان إقامتهم فقد أقاموا في عدة مدن جزائرية مثل: قسنطينة، وهران، المدية...الخ، وهناك بعض العائلات المنتشرة في المناطق الريفية إلا أن الأغلبية كانت تسكن في المدن لأن قوانين البلاد لم تكن تسمح لليهود بامتلاك الأراضي[2].

ولقد ارتفع شأنهم في الجزائر لأنهم كانوا يتعاملون مع الداي وقادة الجيش[3]، ويتعاطون بيع البضائع التي غنمها رجال الجيش كما اشتهروا بالسمسرة والوساطة[4]، لأنهم يمارسون جميع فروع التجارة ويحتكرون أعمال المصارف وتبديل العملة،كما كانوا يتمتعون بحرية تامة في ممارسة عقائدهم الدينية في الأحوال الشخصية، ويتولى إدارة شؤونهم رئيس من أبناء الطائفة يعينه الداي، وبوصفهم رعايا جزائريين يتمتعون بالحرية في التنقل والإقامة حيث يرغبون وبممارسة المهنة التي يريدونها في حدود القانون في جميع أنحاء الجزائر[5].

ورغم ما يتمتع به اليهود من الناحية الاقتصادية، فإنهم ظلوا أدنى الطوائف الحرة في نظر المجتمع الجزائري، حيث أن اليهودي إذا اعتدى عليه واحد من الأهالي فما عليه إلا الهروب إذا استطاع ذلك ، وأن المسلم يقف بجانب المسيحي إن تشاجر هذا الأخير مع اليهودي، ولقد كانوا يخشون السلطة إلى درجة أنهم يعاملون عبيدهم المسيحيين معاملة حسنة

---

[1]درقاوي منصور، المرجع السابق، ص: 37.

[2]أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 37.

[3]صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 361.

[4]يوسف قاسمي: **العلاقات الجزائرية التركية قبل الاحتلال الفرنسي: الجانب الاجتماعي والثقافي نموذجا**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ، 18-19 فبراير 2014، ص: 223.

[5]ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 98.

خوفا من أن يشتكي العبيد إلى تلك السلطة فتصادره منهم، وهناك من يشير إلى أنهم لم يكونوا يقبلون على شراء العقارات رغم ما لهم من إمكانيات مادية خوفا من المصادرة[1]، كما كانت هذه الطائفة اليهودية محرومة من بعض الحقوق مثل منعهم ركوب الخيل أو بحمل أي نوع من السلاح، ويوم السبت والأربعاء هما اليومان الوحيدان المسموح فيهما لليهود بالخروج من أبواب المدينة دون ترخيص خاص[2].

ولقد جرت هذه الأعمال والأساليب التي اشتهر بها اليهود منها السمسرة والوساطة والنهب، للحصول على الأموال على حساب الدولة الجزائرية وسكانها غضب الأهالي وسخطهم، الذي تحول في بعض الأحيان إلى ثورات انتقامية كما حدث في سنوات: 1801، 1804، 1805 و1815م[3].

وتمتاز الثورة التي تعرض لها اليهود في سنة 1805م بحدّتها وخطورتها لما خلفته من ضحايا وما نتج عنها من تدمير وهجرة إلى الخارج، فقد ابتدأت هذه الثورة يوم 28 جوان 1805م عندما قتل كبير اليهود نفتالي بوشناق* عند خروجه من قصر الجنينة من طرف أحد الإنكشاريين، وقد عبر هذا الانكشاري عن الفكرة التي كانت تراود الأهالي عندما صاح في كبير اليهود وهو يجهز عليه قائلا:" **السلام عليك يا ملك الجزائر**"، وتبع ذلك نهب الحي اليهودي وقتل الداي مصطفى (1798-1805) المتعامل مع كبار التجار اليهود، وكان لهذه الحادثة تأثير سيء في الأوساط اليهودية بالجزائر إذ التجأ حوالي 200 شخص منهم إلى مركب

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 362.

[2] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 90.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 48.

* هو قائد اليهود في العهد العثماني في الجزائر، عين من طرف الداي مصطفى باشا، مقدما لطائفة اليهود بتاريخ 3 فيفري 1800م، وقد شغل المنصب إلى غاية 28 جوان 1805م، تاريخ اغتياله من طرف أحد الجند الإنكشارية بسبب علاقته الوطيدة بالداي مصطفى باشا وازدياد نفوذه السياسي والاقتصادي. ينظر/ نجوى طوبال: **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر من خلال السجلات الشرعية (1700-1830)**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ حديث، إشراف: عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2005، ص: 56.

القنصل الفرنسي، كما هاجرت نهائيا من مدينة الجزائر حوالي 100 عائلة يهودية إلى تونس و200 عائلة أخرى إلى إيطاليا في جويلية 1805م، وهذه الانتفاضة مع أنها تبين الجانب السلبي من حياة الجالية اليهودية بالجزائر إلا أنها في نفس الوقت تعبر بصدق عن بقاء هذه الجالية دخيلة عن المجتمع الجزائري المسلم، إذ لا يربطها ببقية السكان سوى مصالحها المادية التي كانت تحصل عليها من الأعمال التجارية والصفقات الاقتصادية المربحة[1].

المطلب الثاني: الأوربيين المسيح

كان يعيش في مدينة الجزائر وكذلك في بعض المدن الساحلية عدد من الأوروبيين المسيحيين الذين كانوا ينقسمون إلى فئتين فئة الأحرار الطلقاء وفئة الأسرى المسيحيين[2].

أ/ فئة الأوروبيين الأحرار

كان عددهم قليلا، فقد كانت في مدينة الجزائر جالية أوروبية صغيرة مكونة من 100 شخص على الأكثر[3]، وهناك من أرجع ضعف عدد الأوروبيين في الجزائر إلى وجود عدد كبير من اليهود الذين سيطروا على التجارة، وأن توافد الأوروبيين على الجزائر كان مرتبطا بالوضع العام في البحر الأبيض المتوسط فكلما توترت العلاقة بين دول الضفتين واشتدت أعمال القرصنة أثر ذلك على المبادلات التجارية وقلل من حركة الأشخاص وتنقلهم[4].

ولقد كانت هذه الفئة تتكون أساسا من القناصل ومن بينهم قنصل فرنسا وإنجلترا اللذان كانا ينتزعان الصدارة ومن الموظفين في مكاتب القناصل، وكذلك رجال الدين[5]، بالإضافة إلى التجار الذين يقيمون في المدينة إلى أن ينهوا أشغالهم فيعودون إلى بلدانهم[6]، كما كان منهم

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 48.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 67.

[3] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**،ج1 ، ص: 220.

[4] أرزقي شويتام، المرجع نفسه، ص: 68.

[5] عمار عمورة: المرجع نفسه ، ص: 221.

[6] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 361.

السفراء للتفاوض بشأن الاتفاقيات المبرمة مع حكومة الجزائر أو لافتداء الأسرى، وكانت حياتهم عموما حسنة، حيث كانوا يعيشون في معزل عن باقي السكان وغير مجبرين بدفع الضرائب وحتى القوانين المعمول بها[1]، ويقيمون في فنادق معينة أو يسكنون في منازل خاصة داخل مدينة الجزائر أو ضمن أحياء معروفة بهم كحي باب الوادي، أو في المرتفعات المشرفة على المدينة، وكان لهؤلاء الأجانب مستشفيات وكنائس ومخازن خاصة بهم، أما بالنسبة للفرنسيين والإنجليز وغيرهم من الأوروبيين فكانت تتداول لدى مواطنيهم شائعات كاذبة على مدينة الجزائر، فهي عندهم مدينة الرعب وملاذ قطاع الطرق وطلاب الغنائم الذين يكتفون بإرهاب جيرانهم الأوروبيين بل هم الأعداء الألداء للمسيحيين وتجارتهم[2].

ب/ فئة الأسرى المسيحيين :

هم الذين أسرهم القراصنة مع غنائمهم أو في أثناء غاراتهم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط[3]، كما كانوا ينتمون إلى بلدان مختلفة من قارة أوروبا: فرنسا، إسبانيا، إيطاليا روسيا،....إلخ[4]، وكان عدد هؤلاء الأسرى غير مستقر فهو يختلف من فترة إلى أخرى حيث كانت تتحكم فيه طبيعة علاقات الجزائر بالدول الأوروبية من جهة، ومدى تفوق أسطولها في عرض البحر من جهة أخرى[5].

---

[1] حاج عمر إبراهيم، المرجع السابق، ص: 225.

[2] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**،ج1 ، ص: 221.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص: 126.

[4] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي** ، ص: 360.

[5] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 61.

ولقد بلغ عددهم في القرن الـ18م نحو 1800إلي2000 أسير كان مصدرهم القرصنة*والحملات الأوروبية على الجزائر[1] وتراجع عددهم لأسباب عديدة منها:

1-التقهقر الذي عرفه الأسطول الجزائري وغلى الهيمنة التي فرضها الأسطول الأوروبي.

2-الطاعون الذي اجتاح الجزائر في أواخر القرن ال18م أودى بحياة عدد كبير من الأسرى ولم يبقى في سجون مدينة الجزائر سوى 500 أسير.

3-بالإضافة إلى المعاهدات التي أبرمتها الجزائر مع بعض الدول الأوروبية مما أدى إلى انخفاض عدد الأسرى[2].

أما أعمالهم فلقد كانت تتوزع على الخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية والأعمال الفلاحية[3] مثل العمل في الحانات أو السجون أو قصر الداي والبساتين أو التجديف على متن سفن الرياس، كما كانوا يستبدلون بالأسرى المسلمين[4].

وكانت ملكية الأسرى تحقق لأفراد الأسرة المالكة منافع متعددة كما تحقق لهم ذلك عناصر الملكية الأخرى من عقارات فلاحية وتجارية، وكانت واحدة من تلك المنافع تتمثل في اعتبارهم رصيدا نقديا مدخرا، إذ يمكن بيعهم والحصول على ثمنهم كأي عنصر من عناصر الملكية الأخرى، وكان ذلك البيع يتم بواسطة عقود تحرر في المحكمة الشرعية بين البائع والمبتاع[5]، أما المنفعة الثانية التي يقدمها الأسرى لمالكيهم تتمثل في الخدمة المنزلية، ولذلك

---

*كلمة إيطالية الأصل تطلق على عمليات الاعتداء التي تقع على السفن والبواخر في البحار، وهي مناطق في البحر لا تخضع لأي سلطة. تطور المصطلح وأصبح يطلق على نشاط الغزو البحري الذي تقوم به سفن خاصة لمصلحة أو جهة ما في حالة حرب. ينظر/ المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009،ج1، ص: 77.

[1]حاج عمر إبراهيم: المرجع السابق، ص: 224.

[2]أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص: 69.

[3]حاج عمر إبراهيم: المرجع نفسه، ص: 224.

[4]صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 361.

[5]خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف: فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة، 2006، ص: 752.

كان يطلق عليهم الخدم، وكانوا في هذه الحالة يمثلون علامة من علامات الغنى بالنسبة للأسر خصوصا في أواخر العهد العثماني، حيث قل عددهم في المدينة وارتفعت أسعارهم.

فالعلاقة بين أفراد المجتمع عامة والعبيد المسيح لم تكن كلها مبنية على الاعتبارات المادية، وإنما كان منها ما هو مبني على الاعتبارات الروحية أيضا، لأن هؤلاء الأسرى مهما كانت الخصائص التي يشتركون فيها مع عناصر الملكية الأخرى فهم يبقون دائما متميزين عنها بكونهم بشرا تجمعهم مع أسيادهم الخاصية الإنسانية، خصوصا لمّا يعتنقون الإسلام، مما يقوي العلاقة بين الجانبين ويجعلها تقرب من الأخوة لأنها قائمة على الدين، وهو ما يجعل الأسياد يحسنون إليهم، ويكون ذلك بعتقهم بدل بيعهم، وبالتصدق عليهم بدلا من استخدامهم واستغلالهم وذلك كله استجابة لأوامر الإسلام بشأنهم[1].

فالأسير لم يكن لدى الجزائريين ذليلا، لأن الدين الإسلامي نظر إلى الأسرى نظرة الأبناء، وحماهم من التعذيب والمعاملة القاسية، ولهذا فإن الجزائريين كلفوا أسراهم بممارسة الأعمال الشاقة لمدة 50 يوما ولمرتين في السنة فقط، في حين عملوا بقية أيام السنة إما بالأعمال المنزلية لدى الأسياد أو في زراعة الحدائق والكروم، كما سمح للراغبين منهم في تحرير أنفسهم وجمع المال اللازم منهم للافتداء من الأسر[2].

وأشد أنواع البؤس والشقاء الذي يعاني منه العبيد المسيحيون في الجزائر هو برودة حكومة بلده وجبنها إزاء حالتهم بحيث أنها تحرمهم حتى من الأمل في الفدية يوما ما[3].

ومهما كان وضع الأسرى في الجزائر فإن وجودهم كان مقصورا على مدينة الجزائر فمنهم من كان يقيم في السجون التابعة للدولة، ومنهم من كان يعيش عند الخواص وهناك عدد

---

[1] خليفة حماش: المرجع السابق، ص: 758.

[2] عزيز سامح والتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، دار النهضة العربية للمطالعة والنشر، بيروت (لبنان)، ص: 353.

[3] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 101.

منهم اندمجوا في المجتمع الجزائري[1]، وهذا يتجلى في قول ويليام سبنسر"...**وعلى كل حال فإن المسيحيين بصفة عامة والمرتدين بصفة خاصة ممَّن اعتنقوا الإسلام كانوا مؤهلين لتولي المناصب العليا وكانت وضعيتهم القانونية أحسن بكثير من السكان المسلمين من غير الأتراك**" [2].

[1]أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 70.

[2]ويليام سبينر، المرجع السابق، ص: 99.

نستخلص مما سبق أن المجتمع الجزائري على غرار بقية المجتمعات الأخرى عرف عدّة فئات وطوائف قسمها الباحثون إلى طبقات استنادا إلى مجموعة من المعايير المختلفة مثل العلاقة بالسلطة وموقع التجمع السكاني...الخ، هذا ما أدى إلى التحكم في الوضع الاجتماعي لكل فئة وجعلت السكان يتمايزون في شكل جماعات مختلفة.

ولقد عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني امتزاجا حقيقيا عكس ما ذهبت إليه بعض المصادر الغربية التي تعيد تاريخه إلى العهد الروماني معتمدة في ذلك على بعض الملامح الخارجية للسكان.

كما كان تركيبة المجتمع الجزائري في المدن ينقسم إلى فئات سكانية قائمة على طبقة متماسكة ومتضامنة في كثير من الأحيان، أما المجتمع الريفي الذي كان يمثل أكبر نسبة من سكان الجزائر قدرت بـ 95% فكان أكثر تجانسا من حيث تركيبته البشرية.

الفـصل الثانـي:

مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر

(1800-1830)

المبحث الأول:النشاط الاقتصادي بين المدينة والريف

المبحث الثاني:الموروث العثماني في الجزائر

المبحث الثالث:المؤسسات الدينية والثقافية

لقد تنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر في الفترة ما بين (1800-1830) وشملت عدة جوانب، متعلقة بالفرد الجزائري وطريقة عيشه، ومن أهم هذه المظاهر النشاط الاقتصادي للسكان الذي إختلف ما بين الريف والمدينة بحيث كان لكل فرد نشاط خاص به حسب بيئته بالإضافة إلى الموروث الثقافي الذي زاد تنوعا وثراء مع دخول العثمانيين للجزائر، حيث أدخلوا معهم عدة عادات وتقاليد ترسخت لدى الجزائريين، منها عادات خاصة بالمأكل الزواج،الأعياد...الخ، ومن خلال هذا الفصل سنتعرف على كل ما يخص مظاهر الحياة الاجتماعية لدى الجزائريين أواخر العهد العثماني.

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي بين المدينة والريف.

المطلب الأول: النشاط الاقتصادي في المدينة.

كان النشاط الاقتصادي في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني مزدهرا حيث شهدت معظم المدن حركة اقتصادية واسعة.

فيما يخص النشاط الزراعي للسكان في المدن فإن العائلة هي التي تشكل الوحدة الإنتاجية والاستهلاكية في الوقت نفسه، حيث نجد بعض الأراضي المحيطة بالمدن التي تنتج الخضر والفواكه، كما هو الحال بفحص* مدينة الجزائر والأراضي المحيطة بالمدن التي تنتج الخضر والفواكه، لكن القاعدة العامة هي الإنتاج لإشباع حاجات أفراد العائلة، أما السوق فيأتي في المرتبة

*هي المنطقة الجغرافية التابعة لدار السلطان وهو امتداد لمدينة الجزائر من الناحية البشرية والحضارية، وتقدر مساحته حوالي 150 كلم^2، وهو يمتد على ما يزيد على 12 كلم خارج أسوار مدينة الجزائر، وينقسم فحص مدينة الجزائر إلى 3 جهات، تعرف عادة بفحص باب الجديد، وفحص باب عزون، وفحص باب الوادي، ويحرص على 5 من فحص الجزائر رجل يعرف بقائد الفحص. ينظر/ عقاد سعاد: **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519-1830)**، مذكرة ماجستير في تاريخ حديث، إشراف محمد دادة، جامعة وهران، 2014، ص: 17.

الثانية مرتبطة بتحقيق الفائض، والحصول على منتجات صناعية أو زراعية ليست من اختصاص الفلاحين نتيجة اختلاف الظروف الطبيعية[1].

ولقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية، فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية، حيث كانت الأراضي الفلاحية المحيطة بفحص الجزائر تنتج مختلف أنواع الخضر كالبصل والطماطم والفلفل والفواكه كالموز والعنب والتين والتوت و الرمان... إلخ[2].

ورغم تنوع هذه المحاصيل إلا أن الفلاحة الجزائرية كانت تعاني في أواخر الفترة العثمانية من عدة مشاكل وصعوبات أعاقت تطورها وازدهارها، وتعود هذه الصعوبات إلى الأساليب القديمة المتبعة والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض مثل: المحراث الخشبي والمنجل البدائي والفرشاة البسيطة[3].

أما نشاط السكان الصناعي في المدن أواخر العهد العثماني في الجزائر فتميز بالبساطة والتقليدية الحرفية وارتبطت بالمواد الأولية المتوفرة في البلاد، كالوبر والقطن والخشب وبعض المواد المعدنية، حيث نجد صناعة الحديد وبعض مستخرجاته رائجة مثل: صناعة الرصاص، السيوف والمدافع، وكل هذه الصناعات مرتبطة بالمدن الكبرى كقسنطينة ومدينة الجزائر...الخ، فسكان العاصمة بالخصوص أغلبهم كان يمتهن بعض الصناعات اليدوية التقليدية، و المهن الفنية مثل: النقش على الخشب والنجارة و البناية والحدادة، والخياطة والخرازة والطرز... [4].

ونجد أن كل حرفة يشرف عليها رب العمل ويسمى "الأمين"، فنجد أمين النجارين،الحدادين

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص: 335.

[2] أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص :217.

[3] أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص: 337.

[4] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**،ج4، وزارة المجاهدين، 2008، ص:106.

الصفارون*، القماجية**، الجلابون***، الفخارون... إلخ. كما تصنع في الجزائر أقمشة من الكتان يلبسها الأهالي وحاشيات من الحرير مختلف الألوان هي أتقن صنعا من التي كانت تصنع في أوربا، وكذلك تصنع الشواشي**** التي جاء بها الأندلسيون إلى بلدنا ولونها الأحمر القاني، وكانوا يصنعون نوعا من الشاشية المطرزة بالذهب والفضة تسمى "الصارعة" والأحزمة من الحرير، وترسل منها كميات كبيرة إلى أنحاء القطر الجزائري، أما الجلود فكانت تصنع منها الأحذية ومحفظة لوضع النقود مطرزة بالذهب والفضة[1]، كما كانت المدن تحتوي على الصناعات الغذائية من الطواحين والمخابز ومعاصر الزيتون وصناعة السفن، وصناعة النسيج والمجوهرات التي اختصت بها الطائفة اليهودية في قسنطينة ومدينة الجزائر ووهران...[2]

وكان أكثر فروع الإنتاج الصناعي لسكان الجزائر هو صناعة الحرير، حيث حلت هذه الأخيرة محل بضائع أخرى كانت رائجة مثل الذهب، وساعد العنصر الأندلسي في ازدهار صناعة الحرير والنسيج وغيره، التي ظلت مزدهرة، لكن في العقد الأخير من العهد العثماني في الجزائر بدأت تعاني من مشاكل وهو ما تجلى في تناقص صناع هذه المادة في العشرية الأخيرة من 1817 إلى 1826م[3].

ولقد خضعت صناعة المدن إلى مراقبة النقابات المهنية التي أشرفت على أصول المهنة والحرص على جودة البضائع وتحديد كميتها، ولكن أنظمة هذه النقابات المهنية تحولت مع مرور

---

* وهم الذين يقومون بصناعة أواني النحاسية وينقشونها، ينظر/ صالح عباد: **الجزائر في ظل الحكم التركي**، المرجع السابق ص :338.

** مهمتهم صناعة الأسلحة وإصلاحها عند الكسر، المرجع نفسه، ص: 338.

*** وهم المختصون في تربية المواشي وتسويقها، المرجع نفسه، ص: 338.

**** جمع شاشية وهو لباس للرأس، مصنوع من الصوف، ينظر/ نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص :145.

[1]) نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 146.

[2] صالح عباد: **الجزائر في ظل الحكم التركي**، ص: 337.

[3] عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830)**، مذكرة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2001، ص: 287.

الزمن إلى عائق في وجه التطور الصناعي، إذ حاولت القيود المفروضة على الصناعات من حيث الكمية والكيفية دون أن تجدد أو توسع في المجال الصناعي[1].

أما عن النشاط التجاري في المدن فكانت أغلب المبادلات التجارية متمركزة فيها، ففيما يخص التجارة الداخلية فكان يقوم بها الأهالي غالبا وكذلك اليهود اللذين كانوا يعرضون خدماتهم على الأهالي ويحملون البضائع حتى تخوم الصحراء[2].

ولقد اتسمت التجارة الداخلية في المدن بطابع الاحتكار من طرف الطائفة اليهودية، فبالرغم من توافر المنتجات الزراعية والحبوب والأصواف... إلخ، فإن الأرباح الضخمة التي كانت تدرها تذهب معظمها إلى التجار اليهود من أمثال "بكري وبوشناق"* وكبار موظفي الدولة، الذين لم يكن همهم مصلحة البلاد وتطوير وسائل الإنتاج بقدر ما كان شغلهم تكديس الثروات[3].

وكان يتم النشاط التجاري الخارجي بين الجزائر وكثير من أقطار العالم سواء الدول الأوربية مثل: فرنسا، وهولندا، إيطاليا، بريطانيا... الخ، أو مع الدول العربية مثل: تونس، ليبيا المغرب الأقصى، مصر... الخ، فقد كانت الجزائر تصدر مختلف المنتوجات إلى أوربا مثل: أنواع الحبوب من قمح وشعير، الزيت، التين، التمر، الجلود، الغنم، الأبقار... الخ، مقابل ذلك كانت تستورد مختلف المنتجات المصنعة من الدول الأوربية المختلفة[4].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 32.

(2) محمد السعيد قاصري: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962)**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 129.

* وهما من أصل إيطالي استقرا بالجزائر خلال القرن 18م، ارتبطت الأسرتان بأواصل المصاهرة فزوجة نفطالي بوشناق هي ابنة ميشال بكري، ولد أسس الصهران شركة التجارة في حدود 1783، والتي أصبحت تلعب دورا بارزا في المعاملات التجارية بين الجزائر وأوروبا منذ ذلك التاريخ، ينظر/ جمال قنان: **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1790-1830**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2005، ص: 272.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص: 71-72.

(4) عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 174.

وفي أواخر العهد العثماني عرفت التجارة الجزائرية تراجعا بسبب إهمال العلاقات التجارية مع إفريقيا والدول الأوربية، وذلك بسبب نقص ميدان القرصنة ، وبالتالي أصبحت الجزائر أقل بلدان المغرب حظا في ميدان التجارة العالمية، وهكذا تركت التجارة الجزائرية بين أيدي العائلات اليهودية وبين أيدي بعض التجار الأوربيين اللذين كانوا يتعاملون مع الاحتكارات التي تمثل مصالح الحكومة[1].

المطلب الثاني: النشاط الاقتصادي في الريف.

يعتبر المجتمع الجزائري مجتمعا فلاحيا بالدرجة الأولي في العهد العثماني، بحيث قدرت نسبة سكان الأرياف بأكثر من 90%، وتقوم حياة هؤلاء السكان على مردود الأرض، فقد كانت هذه الأخيرة هي محور كل نشاط، وساد في الريف الجزائري أواخر العهد العثماني الكثير من الأراضي منها: أرض الملك*، أرض العرش**، أرض البايلك***[2].

ويعتبر سهل متيجة من أجمل الأراضي وأوسعها في العالم وذلك نظرا لمناخه وخصوبته، كما تمتد سهول عنابة على مساحة قدرها 40 ميلا وعرضها 5 ميلا، إذ تنتج جميع أنواع

الحبوب[3]، ويذكر "حمدان خوجة" في كتابه "المرآة" أن الأراضي كانت شديدة الخصوبة بحيث أن

---

[1] مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص: 311.

* كانت تتواجد في المناطق البعيدة عن المدن لعدم تمكن الأتراك من السيطرة عليها، وكانت تشتغل بشكل فردي، وهي قابلة للتجزئة لأنها وسيلة تضامن وتماسك أسري، ينظر/عميراوي حميدة: **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة**، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص: 18.

** وهي أرض تمتلكها القبيلة وليست ملكية خاصة، أي أن الفرد ينتفع بها دون أن يمتلكها وهي غير قابلة للبيع أو الهبة أو التجزئة أو المصادرة، ينظر/المرجع نفسه، ص: 20.

*** وهي التي يمتلكها البايلك ويمنحها لشخص أو مجموعة مقابل القيام بدورين هما فلاحة الأرض وفرض الأمن دون دفع الضرائب، ينظر/ المرجع نفسه، ص: 22.

[2] المرجع نفسه، ص: 18.

[3] الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص:57.

ارتفاع سنابل القمح والشعير يزيد في بعض الأحيان عن قامة الرجل.[1]

وقد اشتهر سكان أرياف وهران ومجانة وقسنطينة بإنتاج الحبوب الذي كان يعد محصولا وافرا معدا للاستهلاك الداخلي والتصدير الخارجي، لذلك عمد البايلك جاهدا للاستيلاء على أراضي الحبوب حتى أصبحت أملاك الدولة بنواحي مدينتي قسنطينة ووهران تغطي 85 ألف هكتار عشية الاحتلال[2]، بحيث يذكر "شالر" قنصل أمريكا في الجزائر بأن هذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية ويفضله التجار على أنواع القمح الأخرى[3].

واشتغل سكان المناطق الجبلية وسكان السهول القريبة من المدن بزراعة الخضر والفواكه بصفة عامة، وكذلك تنتج الأرياف الكثير من العنب وزيت الزيتون والتين، بحيث كانت أنظمة استغلال الأرض في الإيالة فعالة والإنتاج كافيا لسد حاجات السكان[4]، أما تربية الماشية فكان الاهتمام بها بشكل كبير ولاسيما الأغنام، إذ كانت تعد الإنتاج الأساسي للبلد، وتدر على الفلاح والبلد ثروة كبيرة تقدر بنحو ثمانية ملايين رأس، مع توفر الأبقار والجمال والخيل[5].

لكن توجد هناك صعوبات كثيرة واجهت نشاط الفلاح في الريف منها السياسة الضريبية التركية المرتفعة، التي قلصت نوعا ما من النشاط الفلاحي خاصة عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد التركي في الجزائر، بسبب فقدانها السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وكان من الممكن أن تكون الثروة الزراعية أهم بكثير مما كانت عليه لولا تلك السياسة الضريبية [6].

---

(1) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 33.

(2) صالح فركوس: **تاريخ الجزائر العام من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص: 166.

(3) ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 30.

(4) وليام سبينسر، المرجع السابق، ص: 136.

(5) ناصر الدين سعيدون: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، ص: 45.

(6) مبارك الميلي، المرجع السابق، ص: 175.

كل هذه المشاكل والصعوبات أدت بالكثير من الفلاحين إلى تفضيل تربية المواشي على الاستقرار في الأرض وخدمتها، أو الالتجاء إلى الزراعة المؤقتة والرعي المتنقل، ولقد أدى هذا الوضع إلى انتشار الفقر في معظم الأراضي فأصبحت مهجورة وجرداء، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة والجفاف والجراد مما أدى إلى تقلص عدد البساتين حيث لم يبق منها في نهاية العهد العثماني سوى حوالي ألفي بستان، ومع ذلك بقيت محافظة على رونقها[1]، كما قامت الدولة باحتكار تجارة المواد الفلاحية، فكانت تشتريها من المنتجين بأسعار مجحفة لتعيد بيعها لليهود والوكالات الأجنبية، ما ساهم في تدمير الزراعة في مناطق واسعة وشيوع الحياة البدائية في الريف وتحطيم اقتصاد الجزائر وتدهور إنتاجها[2].

أما فيما يخص الصناعة الريفية فكانت معظمها تقليدية وبسيطة، وارتكز نشاط السكان الصناعي في صنع البرانس والأغطية التي يمكن استعمالها في المدن لأنها من الصوف الجيد، أما سكان المناطق الجبلية، فيصنعون الأدوات الفلاحية والأسلحة لأنفسهم ولفلاحي السهول والبدو وحتى لسكان المدينة، كما كانت بعض القبائل تشتغل بالمعادن، فتصنع العربات والأدوات والخناجر وبعض البنادق وكذا المجوهرات، خاصة الفضة منها، ويوجد كذلك في القرى مشاغل تصنع فيها النقود المزيفة، فالأهالي، ذو مهارة فائقة في نقش المعادن وتقليد جميع أنواع النقود، وصناعة الزرابي والنسيج... الخ[3]، وكذلك تصنع في الريف أنواع رفيعة وجميلة من الحصائر بحيث أنها تشكل فرشا للأرضية تشبه السجاد، وكذلك تصنع السلال ومن مختلف الأنواع للأغراض المنزلية[4].

ولقد عانى النشاط الصناعي في الجزائر أواخر العهد العثماني من عدة مشاكل بسبب السياسة الضريبية التي أثقلت كاهل الصناع والحرفيين، وبالتالي انخفاض مردودها وتدهور

---

[1] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 175.

[2] بشير بلاح: **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص:25.

[3] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 29.

[4] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 94.

مستواهم المعيشي، كل هذه المشاكل أدت إلى عدم قيام صناعات حقيقية في الجزائر العثمانية، رغم توفر المادة الأولية والخبرة الضرورية لهذه المصنوعات.

أما التجارة الريفية فكانت محدودة وداخلية، وتعقد لهذه التجارة أسواق خاصة تكون أسبوعية أو على مدى أيام الأسبوع، ويطلق عليها يوق الخميس أو سوق السبت وهكذا، وتكون هذه الأسواق في قرى معينة حيث يتجه إليها الناس باكرا من كل الجهات القريبة والبعيدة، راجلين أو على الأحمرة والجمال، حيث يحملون عليها بضائعهم المختلفة لبيعها في السوق وشراء ما هم بحاجة إليه، وتنشط التجارة في هذه الأسواق خلال فصل الربيع والصيف والخريف، أما الشتاء فتقل فيه البضائع والمنتجات لقساوة البرد[1].

ومن البضائع التي تسوق في هذه الأسواق، الحبوب والخضر والفواكه واللحوم والحيوانات، والخشب والأدوات الطينية والفخارية والنحاسية والزيوت والتمور والعطور، والتوابل والأسلحة... الخ[2].

---

[1] يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص: 493.

[2] المرجع نفسه، ص: 494.

المبحث الثاني: الموروث العثماني في الجزائر

المطلب الأول: العادات والتقاليد.

تنوعت العادات والتقاليد في الجزائر العثمانية، حيث برزت من خلالها هوية الأفراد وانتمائهم إلى الحضارة العثمانية، فلقد تأثر المجتمع الجزائري بهذه العادات وتجلى ذلك في مختلف نواحي الحياة.

أ- اللباس:

هو عنوان الذوق والأناقة عند الناس وصورة لشخصية صاحبه، فلقد كان لكل فئة في الجزائر العثمانية لباس خاص بها، ف "وليام شالر" يذكر أن لباس الجزائريين يتكون من عدة قطع، بعضها بأكمام والبعض الآخر دون أكمام، مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف، وبعد ذلك تأتي سراويل فضفاضة ينزل حتى الساق، وكثيرا ما يلبس الرجل حزاما يلفه عدة مرات حول وسطه ويعلق عليه مسدسا ويضع في طياته أيضا ساعته ومحفظة ونقوده...الخ. ولباس الرأس هو العمامة، والرجلين (البليغة)، أما الجوارب فلا يلبسها إلا الشيوخ وفي حالة البرد فقط[1].

ويصف "ويليام سبينسر" لباس الأتراك بقوله:" **بأنه لباس تقليدي فضفاض متصلة جوانبه بأكمام، ويضاف إليه ألبسة تحتية مهذبة، وسروال مطرز عريض وفضفاض ولقد كان هذا اللباس مميز حيث عرف لدى مسافري البحر الأبيض المتوسط بالطراز الجزائري**"[2].

أما لباس النساء الأتراك العثمانيين فيتمثل في الفرملة وهو اللباس الواسع ذو الحزام والمفتوح عند الصدر، مع معطف ذو أكمام قصيرة إلى جانب ألبسة داخلية تدلى عليها السراويل القصيرة عندما يكن في المنزل، ولما يخرجن للحياة العامة فإنهن يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات،

---

[1] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 83.

[2] ويليام سبينسر ،المرجع السابق، ص:103.

يصل إلى الركبة ثم يأتي سراويل عريضة وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحجبن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء[1](ينظر الملحق رقم3).

وكذلك ارتدت المرأة الجزائرية السترات بكل أنواعها، منها "الغليلة" وهو عبارة عن ثوب طويل يلبسه الرجال والنساء علي السواء، ولم تكن مقتصرة علي طائفة معينة، بل لبستها جميع الطوائف[2].

وملابس الكراغلة عادة مزينة بالذهب أو الفضة ومن الحرير، طبقا لغرور الشخص وثروته، أما شكل العمامة وثناياها ونوع المادة التي صنع منها هي المقياس الذي يحكم الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها وفوق جميع ملابسه يلبس الرجل برنسا* يحمله على كتفه ويغطي كل جسمه[3].

أما لباس اليهود فكان يتسم باللون الأسود من الرأس إلى القدمين وذلك خلافا لبقية الجزائريين، ويلبسون لباسا ومعطفا ذا أكمام عريضة بشكل لا يمنع من غسل الأطراف العليا وكذلك حزاما عريضا وخناجر كبيرة، وفي الشتاء يلبسون السراويل تضيق عند أدنى الركبة، وأحذية ملونة، وبمثل المسلمين يلبسون دائما غطاء على الرأس[4].

كما عرفت المرأة اليهودية ألبسة مطرزة بالذهب ومرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة أو الفضة، كذلك استعملت الحايك والخمار أو العصبة التي توضع على الرأس كالتاج للزينة والسروال النسائي الفضفاض الذي يتدلى حتى القدمين لاعتبارات أخلاقية نتيجة تأثر المرأة اليهودية

---

[1] ويليام سبينسر، المرجع السابق، ص: 107.

[2] شريفة طيان: **ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1990، ص: 104 .

* وهو نوع من المعطف له شكل دائري، يمكن للرجل أن يتركه معلقا دون استعمال أو يغطي به العمامة وهو وسيلة للوقاية من المطر، وتستعمل لنسجه صوف ناعمة بيضاء تمزج أحيانا بالحرير. ينظر/ ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 83.

[3] المصدر نفسه، ص: 83.

[4] ويليام سبينسر، المرجع السابق، ص: 101.

بالأخلاق والمحيط الإسلامي[1]، (ينظر الملحق رقم4).

ب_ **الغذاء:**

لقد كانت للجزائريين عادات الغذاء من مأكل ومشرب، تعرف من خلالها على أسلوب وطريقة عيشهم، حيث بقيت هذه العادات سارية حتى أواخر العهد العثماني، فتمثل غذائهم في الخبز والدجاج واللحم والسمك والخضروات والفواكه والحليب والزبدة وزيت الزيتون[2].

أما وليام شالر فيقول عن غذاء الجزائريين خلال العهد العثماني " **والخبز ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة والخمر والزيتون والفواكه والخضروات والكسكسي الذي يصنع من عجينة تشبه العجينة التي تصنع منها المقارونة في إيطاليا والأرز في الهند، وهو يفتل من حبات صغيرة عادة في قطعة مصنوعة من الخشب ثم يوضع في كسكاس**" [3]، كما يقدم الكسكسي كذلك في المناسبات مع اللحم والزيت أو يصب عليه المرق أو الحليب وتوضع في وسطه الزبدة[4]، وهو لذيذ الطعم ومغذ جدا، والطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم تحضره بزيت الزيتون أو مدهونا بالزبدة، أما طبقة العمال فهي تقتنع بالخبز والزيت متى أمكنها الحصول عليه، ويضيف شالر كذلك "**الجزائريون لا يستهلكون إلا قليلا من لحم البقر وهم قلما يذبحون بقرة ولا يذبحون عجلا أبدا، أما فيما يتعلق بالمشروبات فالقهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمر ولا يشرب سوى الماء**"[5].

كما أن الجزائريين يتناولون نوعا من الطعام يسمى "الخليع" وهو نوع من اللحم يوضع في الهواء إلى أن يجف ويكاد يتعفن، وبعدها ينتزع ويطبخ في الزيت اليوم كله، وفي النهاية يوضع في

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص: 135.

[2] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 223.

[3] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 89.

[4] G. Naphegyi: **Among the Anabs A Narrative of Adventives in Algeria**, 1868, p: 138.

[5] ويليام شالر، المصدر نفسه، ص:90.

أوعية مغلقة ويحفظ على مدار السنة[1]، ومن أنواع الحلويات التي جلبها العثمانيون معهم "البقلاوة"*.

أما بالنسبة لعادات العثمانيين المتعلقة بالأكل، فهم يتناولونه في غرف جميلة على منضدة ذات 8 أرجل، توضع عليها الأكل وبدلا من الجلوس على المقاعد يجلسون مربعين على السجاد، أما الطبقة الفقيرة فقد شوهدت الكثير منهم يجلسون في الشارع يأكلون الكسكس بأيديهم ولا يستعملون الملعقة أبدا وهم في حالة يرثى لها ، أما عن المشروبات فلقد عرف المجتمع الجزائري مشروب الشاي والقهوة مع العلم أن عادات المأكل والمشرب ما زالت قائمة عندنا ليومنا هذا[2].

أ- الزواج:

كانت حفلات الزواج الجزائرية تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الاجتماعية المعينة، وربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني والريفي.

فيذكر "فاغنر" بأنه حضر أعراس الحضر في الجزائر مرتين، وبعدها حضور عرس تركي في عنابة وعرس آخر كرغلي في مستغانم، بحيث يصف هذه الحفلات بأنها كلها متشابهة، فبعد أن يعود الرجال من عند المفتي، يمضون بمجرد غروب الشمس إلى منزل العروس، تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة، فيصاحبونها هي مرة أخرى بلباسها الفخم إلى بيت العريس في طريق العودة، أما العرائس من الطبقة الراقية فيقطعن المسافة على ظهور البغال على ما يشبه القفص[3].

أما وليام سبينسر فيقول عن حفلات الزواج: « **يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزمار، وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى، مرتديا جلبابا أحمرا**

---

[1] ألبرت شونييرغ: **الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص: 32.

* وهي عبارة عن حلوة تركية الأصل، مخلوطة باللوز والزبيب، دسمة جدا، ومشربة بالعسل، ينظر/ درقاوي منصور، مرجع سابق، ص: 143.

[2] درقاوي منصور، المرجع السابق ، ص: 113.

[3] أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975 ص: 71.

وبجانبه سيف رفيع، كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير عين الشيطان، ثم يلتحق بالزوجة في بيتها، حين إذ تخلع الزوجة خمارها ويراها زوجها غير مقنعة لأول مرة[1].

كما يحتفل بالزواج في الليلة الثانية حيث يجتمعن النساء لإقامة الأفراح، وتقام مأدبة في اليوم السابع وتكون المصاريف على حساب والد العروسة والذي يرسل المأكولات إلى بيت صهره الجديد، وفي صبيحة اليوم التالي يخرج العريس من الدار ليذهب إلى السوق لشراء السمك ويأتي إلى الدار متفائلا به خيرا، وهذه عادة قديمة لا تزال سارية في أغلب مناطق الشمال الإفريقي[2] (ينظر الملحق رقم5).

ب-**الأعياد:**

لقد كان للجزائريين خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر عدة عادات وتقاليد خاصة بالأعياد التي أضفى عليها العثمانيون بعض العادات الشرقية، فعيد الفطر الذي يتوج بشهر الصيام عند المسلمين، مثل عيد الأضحى الذي يأتي بعده بشهرين وعشرة أيام، مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية ويطلق فيها المسلمون العنان للفرح والسرور[3].

فيذكر "فاغنر" أن العيد الصغير، هو عيد البهجة والمغفرة، يستيقظ الناس في الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة، التي يعزفها السود، وهم يرتدون أجمل الثياب، وكذلك يرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الذين يرتدون في هذه الأيام الثياب المطرزة بالذهب والفضة، والسراويل المصنوعة من الصوف والقطن، والنساء والفتيات محجبات إلا أن عددهم في الشوارع والميادين العامة لا يقل عن عدد الرجال وهن يكتفين باللعب والتسلية[4].

---

[1] ويليام سبينسر، المرجع السابق، ص: 118.

[2] درقاوي منصور، المرجع السابق، ص: 108.

[3] ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 67.

[4] أبو العيد دودو، المرجع سابق، ص: 69-70.

وكان الأتراك يسمون عيد الفطر "سكر بيرام" أي عيد السكر، وذلك لتبادل الهدايا فيه والقطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة من السكر، أما عيد الأضحى فيطلق عليه اسم "قربان بيراصي" ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية[1].

وتبدأ احتفالات عيد الأضحى من انطلاق نيران البنادق بكثرة عند بزوغ الفجر، لما تقام صلاة العيد تفتح أبواب قصر الداي على مصارعها، ويقدم الكسكس المطبوخ لكل الحاضرين ويستعد الداي لاستقبال تهاني وهدايا أعضاء الحكومة المقيمين في الجزائر[2].

إلى جانب احتفالات العيدين، هناك حفلات أخرى يحتفل بها في الجزائر العثمانية كحفلات الختان والولادة، فيذكر "فاغنر" أنها تشبه الحفلات الأخرى تماما، بحيث أن الوليد الجديد لا يحمل إلى المسجد ولا يختن الأطفال إلا في سن الرابعة، ويدعى الرجل الذي يقوم بعمليات الختان "البتار"، أما أبناء البادية فيختنون على يد المرابط، فالختان بالنسبة لعرب الريف هو حفل ديني أكثر منه دنيوي، أما الحضر فإنهم على العكس من ذلك يطعمون ويكررون نفس الحفلات التي تقام بمناسبة الأعراس[3].

المطلب الثاني: المرافق العمومية.

تعددت المرافق العمومية في الجزائر العثمانية، كل حسب حاجة الفرد إليها وذلك لترويح عن النفس وتبادل الآراء والأفكار.

أ_ المقاهي

كانت المقاهي أحد أهم الأماكن التي يسهل فيها الاحتكاك بالمجتمع، حيث تعتبر من الأماكن التي تتيح للأجنبي أن يتعرف على الشعب، ويتعلم لغته، ولا تخلو المقاهي من الموسيقى

---

[1] ويليام سبينسر، المرجع سابق، ص: 120.

[2] احمد بحري:**الجزائر في عهد الدايات(دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية)**، دار الكفاية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ج2، 2013، ص:118.

[3] أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص: 74.

والعروض المسرحية، وكان يرتادها كل الفئات الاجتماعية من حضر وأتراك وزنوج وبرانية...الخ وتقدم القهوة في فناجين مصنوعة من الخزف فوق صحون من الصفيح، ويوضع فيها مسحوق السكر[1]، ففي المقهى يعتبر كل الناس إخوة، يجلسون على نفس الحصير، أو على نفس البساط، وهم ينصتون بإعجاب شديد لأغاني الموسيقار الذي يروي لهم من حين لآخر قصة عربية[2].

فالمقاهي موجودة بكثرة تزيد عن اللزوم ولكن من النادر وجود مقهى نظيف يستهوي الزائر للجلوس فيه بانبساط وسرور، هذا لا يمنع من أن هذه المقاهي تكون دائما مكتظة بالزوار الذين يقضون فيها قسم من النهار، والبن الذي يستخرج منه القهوة يستورد من اليمن التي تبعد عن الجزائر بثمانية أيام سفر[3].

ويطلق على أصحاب المقاهي اسم "القهواجي"، حيث يعتبر المقهى ملتقى لجميع شرائح المجتمع، وفيها يكسب الموسيقيون والراقصون والمغنيات والراقصات أقواتهم اليومية[4] (ينظر الصورة رقم1، الملحق رقم6).

ب_ الأسواق

تنوعت الأسواق في الجزائر العثمانية، حيث أنها صنفت حسب التخصص بحيث كان لأهل كل حرفة سوق مخصص لهم[5].

وتوجد في الجزائر بعض الأسواق التي يعرض فيها الغرباء عن المدينة بضائعهم وهي لا تشبه تلك الأسواق الضخمة التي كانت موجودة في بغداد أو القسطنطينية، فهي فقيرة مقارنة مع تلك الأسواق، التي كانت تحتوي على أربعين محلا، إلا أن القسم الأكبر منها قد هدم وقامت في

---

(1) ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص: 63.

(2) A. Lessore. W. wild: **La régence d'Alger**, Dar El Oumma, Algérie, 2001, p :07.

(3) درقاوي منصور، المرجع السابق، ص: 113,

(4) سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص: 162.

(5) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص: 161.

مكانه محلات ودكاكين تجار أوربيين أثناء دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر، وتعرض في هذه الأسواق الروائح والعطور والمصنوعات القطنية المحلية، وأحذية الأطفال... الخ، أما دكاكين التجار من الأهالي، فهي تقع خارج هذه الأسواق، لأنها صغيرة وليست فيها تنوع في البضائع، وهي عبارة عن ثقوب مربعة، تغلق في الليل[1].

وفي أسواق الجزائر عدد كبير من الدكاكين أو الحوانيت* [2] (ينظر الملحق رقم7)، تبيع مختلف البضائع الفاخرة وجميع أدوات الزينة والحلي، بالإضافة إلى الأحذية الجزائرية تدعى "البلغات" وتوجد بها كذلك الأساور المتنوعة المصنوعة من جواهر زجاجية أو من أصداف، ومن خيوط ذهبية.

وفضلا عن الأسواق الهامة والمتخصصة أقيمت أسواق صغيرة عرفت بـ "السويقة" وهي تصغير لكلمة سوق، وهي عبارة عن أسواق صغرى تباع فيها الحاجيات الضرورية لسكان الأحياء، بهدف تجنيبهم عناء الانتقال إلى الأسواق الكبرى، إذ نجد بها محلات اللبانين، الخضارين، العطارين... الخ[3] (ينظر الصورة رقم 2، الملحق رقم 6).

ج- الحمّامات

لقد كان للحمامات في الجزائر أغراض اجتماعية هامة، زيادة على عمله التنظيفي، بحيث ينظف فيه الجزائريون أجسامهم، ويلتقي فيه الرجال والنساء كل في قسمه المنفصل وحجراته، وفيه يتفق على الزواج، ويتحدث فيه عن مراسيم الدفن والأعمال التجارية، وتحكى فيه الحوادث العائلية

---

[1] ابو العيد دودو :المرجع السابق، ص: 63.

* جمع حانوت وهو مكان صغير مربع الشكل يبلغ ارتفاعه ستة أو سبعة أقدام، وطول ضلعه ما بين ثلاث أو أربع أقدام ويجاوره أحيانا مكان آخر يستخدم كمخزن، ويتم غلقه ليلا بواسطة مصراع من الخشب، ينظر/ أندري ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، دار الفكر، القاهرة، 1985، ص:179.

[2] هانريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009، ج1، ص:31.

[3] نجوى طوبال، المرجع السابق، ص: 162.

بين الأصدقاء[1]، وهي ملك مقصور على الميزابيين، الذين منحوا هذه الامتيازات منذ زمن طويل[2](ينظر الملحق رقم8).

ولقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته، يقوم الخدم بغسلهن من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر والمسك والعطور الأخرى، وبعدها يصبغن حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن، وتنتظرهن في غرفة الملابس بعصير الليمون أو البرتقال، وبالفاكهة والجوز والحلويات، كما تهيأ لهم جو موسيقي وتحضير فتيات للرقص، وفي هذا الجو البهيج تقضي السيدات الجزائريات يوما من أيام الأسبوع[3].

أما ويليام شالر فيقول:" **إن الحمامات العمومية في الجزائر، تشبه حمامات مدينة قسنطينة وحمامات القاهرة وغيرها من المدن الشرق وهي كثيرة في الجزائر ويحتفظ بها بعناية والإقبال عليها من الجمهور كبير**"[4]، وأكثر تلك الحمامات فخامة، لها غرف بخارية وفيها الماء البارد والساخن، وخدم من الزنوج، مهرة في الدلك، بالإضافة إلى تقديم القهوة ومشروبات أخرى[5].

المطلب الثالث: الحالة الصحية

أ/ الأمراض والأوبئة

شهدت السنوات الأخيرة من نهاية الحكم العثماني في الجزائر، تدهور الحالة الصحية والمعاشية مما أثر سلبا على نمو السكان وترك آثارا سيئة على وضعهم الاجتماعي، فتضاءل عدد

---

[1] ويليام سبينسر، المرجع السابق، ص: 114.

[2] A. Lessore, W. Wild : op. Cit, p: 37.

[3] ويليام سبينسر، المرجع نفسه، ص: 115.

[4] ويليام شالر، المرجع السابق، ص: 99.

[5] جون ب.وولف، المرجع السابق، ص: 152.

سكان المدن وتناقص سكان الأرياف ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، أدى هذا الوضع إلى تناقص عدد التجار والصناع وانعدام الأيادي العاملة في ميدان الزراعة[1].

ويعود أسباب هذا التردد والتدهور الاجتماعي إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط، وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقاتها التجارية مع أوروبا وارتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي[2].

ومن بين الأوبئة التي انتشرت في أواخر العهد العثماني في الجزائر، الطاعون، الذي حمل إلى الجزائر من القسطنطينية وأزمير، وغيرها من مدن الشرق[3]، وهو يعد من أخطر الأمراض التي عانى منها المجتمع الجزائري، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد، ولقد تسبب ظهوره في انهيار عدد السكان وتدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على اقتصاد البلاد[4]، ومما زاد هذا الوباء حدة هو المجاعة المروعة التي عرفتها الجزائر، نتيجة اجتياح الجراد عام 1815، ولقد استمر هذا الوباء إلى غاية 1822، بالإضافة إلى الطاعون هناك عدة أمراض أصابت الجزائر منها: الكوليرا، التيفوس، الجذري، السل، ... إلخ[5].

ولقد عجزت السلطات القائمة في البلاد على تأمين الرعاية الصحية للسكان، ولم يهتموا بأمور الصحة، حيث لم يكن يوجد في الجزائر كلها سوى صيدلية واحدة بمدينة الجزائر.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ص: 123.

[2] توفيق دحماني: "الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، العدد السابع، الجزائر، 2013، ص: 137.

[3] ألبريشت شومبيرغ، المرجع السابق، ص: 39.

[4] توفيق حماني، المرجع نفسه، ص: 88.

[5] فلة الموساوي القشاعي: **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830)**، وزارة الثقافة، الجزائر، ص: 137.

ولمعالجة كثير من الأمراض التجأ السكان إلى المعالجة بالأعشاب والنباتات الطبية التي كانت تزخر بها الجزائر، حيث كانت هذه الأعشاب تقطف وتباع في الأسواق، الأمر الذي جعل اليهود يهتمون بتجارة العقاقير وكذلك بني ميزاب[1].

ب/ الكوارث الطبيعية

بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة شهدت الجزائر العديد من الكوارث الطبيعية منها: الزلازل، حيث تعرضت الجزائر إلى عدة هزات أرضية عنيفة أواخر العهد العثماني تسببت في تخريب وتحطيم بعض المدن، وأسفر عنها خسائر في الأرواح والممتلكات، ومن بين هذه الزلازل، زلزال 1818، و 1825 الذي ضرب أغلب المدن الساحلية والمناطق القريبة من مدينة الجزائر، وكذلك الزلزال الذي ضرب البليدة وأدى إلى هدم الدور والمساكن وخراب مدينة البليدة والذي دامت هزاته من 2 إلى 6 ماي 1925م، وأسفر عن هلاك أكثر من 7 آلاف قتيل[2].

كما شهدت الجزائر عدة فيضانات وحرائق أدت إلى حدوث مجاعات وهلاك الكثير من الناس منها فيضانات 1812 و1816، ومن نتائجها تضرر الحياة الاقتصادية وتفشي الأمراض القاتلة وإتلاف المحاصيل الزراعية وتدمير المباني، وتناقص عدد السكان وانعدام الأمن وتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية[3].

وعاشت الجزائر في أواخر العهد العثماني العديد من المجاعات، أثرت سلبا على الوضع الاجتماعي والصحي والاقتصادي للبلاد منها مجاعة 1787، 1789 التي كان من أسبابها الجراد مع الوباء وكذلك مجاعة 1794 التي اتسمت فيها الأوضاع بالتردي والفوضى وغلاء الأسعار

---

[1] بوحجرة عثمان: **الطب والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: محمد دادة، جامعة وهران، 2014، ص: 68.

[2] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص: 89.

[3] المرجع نفسه، ص: 90.

وموت الناس جوعا حيث توفي أكثر من 1656 نسمة في مدينة الجزائر وقسنطينة[1]، وتركت هذه الكوارث الطبيعية نتائج سلبية على الوضع الديموغرافي للبلاد، كما أثرت في نفسية الجزائريين وأدت بهم إلى النقمة من الحكام والثورة عليهم محملين إياهم أسباب المصائب والمعاناة[2].

[1] ناصر الدين سعيدوني: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ص: 130.

[2] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص: 90.

المبحث الثالث: المؤسسات الدينية والثقافية

إن نظام الحكم العثماني في الجزائر لم يهتم بالجانب الثقافي ومؤسساته، بقدر ما اهتم بجوانب الحياة الأخرى، وإن الثقافة اعتمدت على اهتمام الجزائريين أكثر مما اعتمدت على غيرهم حيث أنشئوا عدة مؤسسات دينية وثقافية، كانت مركزا للعبادة من جهة وللتعليم والتثقيف من جهة أخرى.

المطلب الأول: المساجد والزوايا

لقد تنوعت المساجد والزوايا من خلال العهد العثماني في الجزائر، وكان لكل منهما وظيفته الخاصة به.

فيعتبر المسجد هو المكان المخصص لأداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية والتعريف بشؤون الناس، ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع[1]، كما يوجد هناك فرق ما بين الجامع والمسجد، فالجامع أكبر من المسجد فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة أو العيدين، وكان يسمى أيضا جامع الخطبة وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم[2] (ينظر الملحق رقم9).

فالعناية بالمساجد كانت ظاهرة في المجتمع الجزائري، فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد، فلقد كان منشطا للحياة الاجتماعية والعلمية، والرابط ما بين أهل القرية والمدينة أو الحي، لأنهم يشتركون في بنائه كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه، ولقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد، ولكن أعيان القرية أو الحي كانوا يساهمون بالتبرعات[3]، وكان لهذه المساجد مكانة مركزية لا تعوض فهو مكان للعلم ومدرسة غير محدودة العدد[4].

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص: 210.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص:243.

[3] المرجع نفسه، ص: 244.

[4] العربي إيشبودان: **مدينة الجزائر (تاريخ عاصمة)**، دار القصبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009، ص: 50.

ومن بين أهم المساجد الموجودة في الجزائر هو "الجامع الأعظم" أو ما يسمى بـ"الجامع الكبير" وهو أكبر مسجد في مدينة الجزائر(ينظر الملحق رقم 10)، الذي تقدر مساحته نحو مائتي متر مربع، ويعود وجوده إلى ما قبل العهد العثماني[1]، كما كان يوجد في أواخر القرن 18م، في مدينة الجزائر وحدها عشرة مساجد كبرى، وحوالي خمسين مسجدا صغيرا، التي كانت تحت إشراف الكثير من الموظفين[2].

أما تلمسان أواخر العهد العثماني فكان يتواجد بها خمسين مسجدا منها جامع سيدي بومدين وجامع محمد السنوسي، وجامع ابن زكري، وجامع أولاد الإمام،...إلخ[3]، ويعتبر مسجد السيدة الذي يقع بمدينة الجزائر من أجمل المساجد سنة 1830، والذي يعود بنائه إلى القرن 16م، وقد اشتهر بزخرفته وأناقته[4].

ورغم وفرة المساجد فإن بعض الملاحظين قد اشتكوا من عدم العناية بها في هذا العهد، فعددها لم يكن يدل بالضرورة على العناية بها، والمحافظة عليها، فلقد كان بعضها مهدما وبعضها محروما من الأوقاف الضرورية لتجديده[5].

أما الزوايا فلقد شهدت انتشارا واسعا في العهد العثماني، فهي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي وقد بنيت لأداء وظيفة دينية، أما عن تسميتها فإنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة، باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية أم لأن وجودها كان دوما في زاوية وأطراف المدينة[6]، كان لهذه الزوايا دور ثقافي واضح في النشاط الديني والعلمي إذ

---

[1] عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص: 155.

[2] جون. ب. وولف، المرجع السابق، ص: 153، 154.

[3] أحمد مريوش: **الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر ، ص : 13.

[4] ASSIA DJEBAR : **Velles d'Algerie au 19eme siècle**, Edition anep, Alger, 2005, p: 19.

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص: 248.

[6] أحمد مريوش، ، المرجع نفسه، ص: 149.

إذ شاركت في تخريج عدد كبير من الطلبة[1]، بالإضافة إلى التعليم كان كذلك مركزا للطلبة الفقراء وعابري السبيل والمسافر.

وكانت الزاوية مقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، ويؤمُّه غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، وحفظوا بعض سور القرآن الكريم.

أما الثاني: فإنه يقوم بتدريس بعض الفنون الفقهية، وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف، وفنون اللغة والنطق[2].

ومن بين الزوايا التي كانت تزخر بها الجزائر العاصمة: زاوية عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية عبد القادر الجيلاني، وزاوية سيدي محمد الشريف،... إلخ، أما في مدينة قسنطينة ونواحيها فلقد بلغت حسب الإحصائيات ستة عشر زاوية منها سيدي الكتاني وسيدي عبد المومن،... إلخ، أما في تلمسان ونواحيها فلقد كان عدد الزوايا يفوق الثلاثين زاوية أواخر العهد العثماني منها: زاوية سيدي الطيب، زاوية بومدين، زاوية محمد السنوسي،... إلخ[3].

المطلب الثاني: الكتاتيب والمدارس

لقد برزت بشكل جلي في الجزائر العثمانية مراكز علمية تعرف بالكتاتيب والمدارس.

فالكتاتيب هي أقل وحدة للتعليم، وظيفتها تحفيظ القرآن الكريم للصبيان ذكورا وإناثا، وقد وجدت هذه الكتاتيب في المداشر وأحياء المدن، وفي غرف تابعة للمسجد، يطلق عليها سكان الجبال "الخربيش" لبساطة بنائها وفراشها المتكون عادة من الحصير المنسوج من الحلفاء، كما يسميها

---

[1] محمد حمد المشهداني، سلوان رشيد، المرجع السابق، ص: 435.

[2] محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة الباكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص: 59.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص: 265، 266.

البعض باسم المسيد، والكتاب أو المعمرّة[1]، ويلتحق الأطفال بالكتاب عندما يبلغون السادسة حيث يتعلمون الكتابة والقراءة وتركز برامج التدريس علي تعليم مبادئ اللغة العربية وبعض مبادئ الحساب[2]، وإلى جانب تحفيظ القرآن يتلقى الأطفال في بعض هذه الكتاتيب قواعد تلاوة القرآن وتجويده وترتيله، وبعض العلوم الفقهية والمبادئ الدينية[3]، ويزدحم الأطفال حول المعلم ويجلسون على الأرض فوق الحسائر أو السجاد، في شكل دوائر نصفية، فيملون عليهم أجزاء من القرآن الكريم، يكتبونها على ألواح خشبية[4].

وكان معلم القرآن يسمى بمسميات كثيرة منها: الفقيه، الشيخ، الطالب. وينتمي عادة إلى الطبقة الفقيرة، يتقدم لتعليم القرآن مقابل راتب يقدم له في شكل محاصيل زراعية، أو ثمار مختلفة، ويشترك كل سكان القرية لتقديم الراتب لمعلم القرآن[5]، ولقد كانت هذه الكتاتيب منتشرة، انتشارا واسعا في الجزائر، بحيث ذكر أحد القادة الفرنسيين عام 1834م بأن العرب كانوا يتقنون كلهم القراءة والكتابة وفي كل قرية كانت توجد مدرستان، أما عدد المدارس فكان يناهز ألفي مدرسة[6].

كما كانت توجد مدارس خاصة بفروع العلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب، وعلم صيدلة الأعشاب بالإضافة إلى علوم التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والتوحيد وعلوم اللغة والمنطق والفرائض وغيرها، وكل هذا يدرس في التعليم الثانوي[7].

---

[1] فاطمة الزهراء سيدهم: **الثقافة بالجزائر العثمانية في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19 فبراير 2014، ص: 255.

[2] احمد بكري : المرجع السابق، ص:155.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 213.

[4] المرجع نفسه، ص: 212، 213.

[5] فاطمة الزهراء سيدهم، المرجع نفسه، ص: 226.

[6] أرزقي شويتام: "العلاقات الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 13، جامعة الجزائر، 2011، ص: 88.

[7] أبو القاسم سعد الله: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2000، ص: 133.

وليس هناك فصل واضح ما بين التعليم الثانوي والعالي، والأستاذ الذي يدرس في العالي يسمى "عالمًا"، أما عدد الطلبة فلقد كانوا ما بين 600 إلى 800 في كل إقليم، يواصلون تعليمهم العالي، وكان الأساتذة في هذا المستوى يتقاضون أجورهم من الأوقاف أيضا، وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع[1].

ومن بين أهم الجوامع التي كانت تحتوي على التعليم العالي، منها المدرسة القشاشية ومدرسة الجامع الكبير ومدرسة شيخ البلاد، والتي تقع في مدينة الجزائر، ولم تكن هذه المدارس العليا في مستوى جامعات الأزهر بمصر، والقروين بالمغرب، والزيتونة بتونس، ولكنها كانت تلعب دورا تعليميا كبيرا وخاصة مدرسة الجامع الكبير التي كانت تعد شبه جامعة لشهرة العلماء اللذين كانوا يدرسون بها، والمرافق التعليمية التي كانت تحتويها[2]،إذ لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف، حيث بلغ عددها في الجزائر نحو عشرة آلاف كتاب، يظم الواحد منها ما بين 20 إلى 30 تلميذ[3].

أما المدارس فهي مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهورها بعد أن توسعت الرقعة الإسلامية واحتكاكها بشعوب أخرى فأصبحت الحاجة إلى اقتباس المعارف والعلوم المتنوعة، والاستفادة من مختلف المعارف الضرورية لحياة المسلمين، الأمر الذي فرض إنشاء هذه المدارس وانتشارها[4].

فلقد كانت وظيفة المدرسة هامة، فهي تثقف وتربي الأطفال على القواعد الإسلامية، وعلى نمط اجتماعي محدد، وتقوم بتعليم القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، كما تعليم مبادئ العلوم المختلفة والقراءة والكتابة، مما يساهم في إعطاء التلميذ رصيدا من المعارف تساعده

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)**، ص: 157.

[2] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ج1، ص: 174.

[3] محمد محمد المشهداني، سلوان رشيد، المرجع السابق، ص: 436.

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق،ص: 15.

على التعايش في المجتمع، وبالرغم من أنها لم تساير العصر والحاجة الاجتماعية إلا أنها كانت تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع[1].

والجزائر لم تكن بها جامعات أو مدارس عليا بالمفهوم الحالي، خلال العهد العثماني بل دروس كانت مساجدها الكبيرة وزواياها تضاهي وتفوق مستوياتها في بعض الأحيان دروس الجوامع الكبرى، كالجامع الأعظم في المشرق العربي[2]، وكانت تمنح الإجازات وهي ما يقابل اليوم الشهادات العلمية التي تؤهل حاملها لتدريس الفقه أو المنطق أو علم من العلوم الكثيرة[3].

المطلب الثالث: المكتبات

لقد كانت الجزائر العثمانية بلدا زاهرا بالكتب والمكتبات، التي كانت تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب من الخارج ولا سيما من الأندلس ومصر وإسطنبول والحجاز [4].

فقسنطينة كانت زاهرة بالكتب والمكتبات، حيث أعجب بها المستشرقون الفرنسيون، وخصصوا لها دراسات مختلفة، ووضعوا لها التصنيفات ورتبوها قصد استخراج محتوياتها، وأنها كانت في حالة جيدة سواء فيها المكتبات العامة أو الخاصة التي تمتلكها العائلات والأسر القسنطينية مثل: عائلة الفكّون[5].

ولقد كثرت المخطوطات في العهد العثماني، وكانت مكتباتها منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة وهي تظم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، كما يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة بها، أما المكتبات العامة فقد كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس، وكانت

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ، ص: 279، 280.

[2] أحمد مريوش، ،المرجع السابق، ص: 15.

[3] مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربية في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر،1997، ص: 34.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 300.

[5] كمال خليل: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850- 1951)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: احمد صاري، جامعة قسنطينة، 2007، ص: 10.

هذه المكتبات موزعة على القطر الجزائري، خاصة المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان[1].

وتحتوي أغلب المكتبات في الجزائر العثمانية على كتب التفسير والقرآن والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه والأصول والتوحيد، كما كان للعلوم اللغوية والعقلية الأخرى أيضا حظ في هذه المكتبات، منها النحوي واللغة والصرف والبلاغة والعروض، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة والحساب والفلك والطب، كانت قليلة جدا[2].

ولقد أشار كذلك أبو القاسم سعد الله أن المكتبات في الريف لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة، حيث كان لها أهمية كبيرة في أنحاء البلاد، كمكتبة ميزاب، التي كانت ببني يزقن، حافظ عليها أصحابها كعائلة "التميمي" و"أصفيش"، بالإضافة إلى مكتبة الزواوة و ورقلة والخنقة، مما يدل على وفرة الكتب حتى في المناطق النائية، وأن الشعب الذي حافظ على كل ذلك القدر من المكتبات كان شعبا على درجة كبيرة من التحضر[3].

وتشير بعض المصادر إلى أنه كان بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الكتب عموما من وراقة وتجليد ونسج وخط ونحو ذلك، أما حركة التأليف فكانت هي الأخرى نشيطة في العهد العثماني، ولا تكاد تجد عالما إلا وله قائمة من المؤلفات عبارة عن شروح وحواشي وتعاليق ورسائل وفهارس في علوم عدة تتصدرها العلوم الشرعية، وأيضا في التأليف ذات الأجزاء، وعادة ما يجمع المدرس الأستاذ دروسه التي شرحها الطلاب في كتابه[4].

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 60.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص: 300.

[3] المرجع نفسه، ص: 313، 314.

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص: 31.

نلاحظ في الأخير أن العثمانيين قد أثروا في الحياة الاجتماعية للجزائريين، وقد لمسنا هذا التأثير من خلال الأنشطة الاقتصادية المتنوعة التي أثرت علي الحياة الاجتماعية للجزائريين، بالإضافة إلى محاولة ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي من خلال العادات والتقاليد من مأكل وملبس... إلخ، ولم يكن هذا التأثير في الحياة العامة للجزائريين من الأتراك فقط، فلقد ساهمت فيه كذلك الجالية الأوروبية من يهود ومسيح، بالإضافة إلى الأندلسيين.

أما من ناحية التأثر الثقافي، فلم يكن للعثمانيين دور كبير في ترقية العلم وإقامة المراكز الثقافية، التي انحصرت في المساجد والزوايا والكتاتيب، وبالرغم من انتشار التعليم في معظم القطر الجزائري إلا أنه ظل يعاني من التأخر، ولم يواكب التطورات الأوروبية آنذاك.

الفـصل الثالث:

الحياة الاجتماعية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي(1830-1852)

المبحث الأول:النشاط الاقتصادي وتأثيره علي المجتمع

المبحث الثاني:الأساليب الاستعمارية الفرنسية ضد المجتمع

المبحث الثالث:انعكاسات السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري

منذ دخول الاستعمار الفرنسي الجزائر شهدت الحياة الاجتماعية فيها تغييرا ملحوظا وذلك بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد المجتمع الجزائري، بحيث كانت تتماشى مع ما يخدم الاستعمار الفرنسي ومصالحه الشخصية، ففيما يخص النشاط الاقتصادي للسكان أثناء الاحتلال فلقد أثر كثيرا على الحياة الاجتماعية للجزائريين وأصبح يتماشى مع أساليب المستعمر.

أما السياسة الاستعمارية الفرنسية فلقد تنوعت حسب ما يخدم مصالح المستعمر منها السياسة التعسفية بكل أنواعها بالإضافة إلى الاستيطان ومصادرة الأراضي لأنها تعتبر من أهم السياسات التي اتبعتها فرنسا في السنوات الأولى من الاحتلال من 1830 إلى1852م، ولقد انجرت عليها انعكاسات أثرت على المجتمع الجزائري وعلى مقوماته الشخصية، وهذا ما سنتطرق إليه في فصلنا هذا.

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي وأثره على الحياة الاجتماعية

شهد النشاط الاقتصادي للسكان في الجزائر منذ دخول الاستعمار الفرنسي عدة تغيرات، أثرت على المجتمع الجزائري وطريقة عيشه في جميع الميادين سواء الزراعة، الصناعة أو التجارة.

المطلب الأول: الزراعة

إن التأثير الحقيقي الذي كانت تسعى إليه السلطات الاستعمارية بين الفلاحين الجزائريين هي إقناعهم بالمزروعات الصناعية الاستعمارية، وجعل هذا المجال الحيوي تحت تصرفهم، بحيث أدخلوا عدة زراعات جديدة تخدم مصالح المستعمر بالدرجة الأولى، ومن بين أهم هذه الزراعات زراعة الأعناب فالسهول الخصبة في جهات عنابة، و مدينة الجزائر، ووهران، قد غرست كلها كروما لإنتاج الأنواع المتعددة من الخمور، فهذه الكروم تحجب مساحة 5400 ألف هيكتار من أجود الأراضي، فتنتج سنويا نحو 20 مليون لتر من الخمر، [1] وبذلك فإن معظم الأراضي الخصيبة اصبحت في أيدي المعمرين أما الجزائريين فلم يبقى لهم سوى الأراضي الغير صالحة للزراعة مثل الجبال وأصبحوا يعملون كخماسة في أراضيهم. [2]

---

[1] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984، ص: 112.

[2] يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 إلى 1954**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 78.

ومن الزراعات الأخرى كذلك زراعة القمح التي لم تكن حكرا على الجزائريين بل أن الكثير من المستعمرين شاركوا في هذا الإنتاج بنحو الثلث، ويستعملون لزراعة ورعايته وحصده أحسن الآلات الحديثة نظرا لما بين أيديهم من وسائل العمل، أما أغلب المسلمين فلا يكادون يستعملون إلا أبسط الآلات مما يؤدي إلي ضعف المحصول.[1]

وكذلك شهدت زراعة القطن انتشارا واسعا منذ دخول الاستعمار الفرنسي [2]، وتعتبر الحلفاء هو المنتوج الأول الذي تشتغل فيها القبائل وتأتي به إلى مراكز التصدير ويسلم كله لشركة استعمارية واحدة ويأخذ الجزائريين مقابل عملهم ثمنا زهيدا جدا لا يكاد يذكر، بينما تبيع الشركة هذا المحصول للدول الأوروبية بأثمان باهظة فتصنع منها الأقمشة والورق. [3]

ولقد أدت ظهور الرأسمالية الفلاحية في الجزائر إلى القيام بأعمال البيع والشراء في جو من الغش والبحث عن الربح السهل والسريع لصالح المستعمرين، ففي سهل متيجة يوجد مساحات واسعة استولى عليها الأوروبيون واشتروها من الأهالي، فالناس لم يعودوا يفكرون في الفلاحة لسببين: الأول بأن معظم المضاربين في الأراضي قد كفوا عن البيع لاعتقادهم أنه سيأتي فيه يوما يحققون فيه أرباحا أكثر من الأرباح الحالية؛ والثاني أن البعض لا يستطيعون البيع بالفعل لأن ملكية الأراضي التي بين أيديهم ليس معترف بها. [4]

أما أهم المواد الزراعية الأخرى في القطر الجزائري وأغلبها بأيدي المستعمر نذكر منها: البرتقال، الليمون، اللوز، البرقوق، المشمش، التين...إلخ، وأهم البساتين في أيدي الأوروبيين والمحصول لا يفيد إلا المستعمرين[5]، وبذلك أصبح معظم الجزائريين خماسين لدى الأوروبيين اللذين جردوا الأهالي من أراضيهم وهذا ما أدى إلى تفكيك المجتمع الجزائري لأن التكاليف والمتاعب التي ترتب عليها قد نفرت منها المستعمرين، ولكن تربية المواشي أصبحت قليلة الفائدة بسبب الضرائب

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 114-115.

[2] صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 79.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 118.

[4] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص: 30-31.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 123.

العالية التي يطلبها المعمرون ليسمحوا للمواشي بالرعي في أراضيهم بعد الحصاد، ومن جهة أخرى فإن تربية الماشية تنمو بحسب حاجيات فرنسا ولفائدة بعض المحتكرين الفرنسيين الذين يشترون الغنم في الجزائر بثمن زهيد ويبيعونها بأثمان باهظة في فرنسا وفي الخارج.[1]

ولقد أدت هذه السياسة الاستعمارية إلى انخفاض الأجور، مما يجعل مقدرة الشراء عند العمال الفلاحيين الجزائريين شبه منعدمة ولا تمكنهم تلك الأجور المنخفضة بالعيش الكريم. [2]

المطلب الثاني: الصناعة والتجارة

منذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر شهدت الصناعة الجزائرية تدهورا ملحوظا وذلك لاستعماره الأراضي وما تحتها لفائدته والتي تكفيه لحياة الترف مما أدى به إلى صرف النظر عن الصناعة، ومنه ترك القطر الجزائري دون صناعة تذكر، إلا بعض معامل الزيت والصابون وصناعة السجائر والتبغ، وما بقي بأيدي المسلمين من الصناعات المحلية مثل: نسيج الزرابي وحياكة الأصواف للاستهلاك المحلي. [3]

ولقد أدت المنتجات الباريسية الشهيرة إلي القضاء على الصناعة اليدوية الجزائرية، فإقبال المصنوعات الأوروبية بكثرة متزايدة قد أدى بتخفيض أسعار السلع أو المصنوعات الجزائرية مما حكم على الصناع بالتخلي عن أماكنهم ودكاكينهم وزالت الأسواق وحلت محلها حوانيت عصرية أوروبية.[4]

كما كانت هناك صناعة استخراجية خاصة بالمواد المنجمية التي تجري نقلها نحو المرافئ القريبة من مراكز استغلالها وترتبط بواسطة خطوط سكك الحديد التي تم وضعها لكي تهتم بتصدير المواد المعدنية إلى الدول الأوروبية [5]، وعلى سبيل المحافظة على الوجود الفرنسي في الجزائر قامت

---

[1] يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص: 78.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 131.

[3] المرجع نفسه، ص: 126.

[4] يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص: 78-79.

[5] عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر (سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960)**، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص:159.

قامت فرنسا بتشجيع الشركات الأجنبية على إقامة معامل للمواد الكيميائية وغيرها من المواد الأخرى في الجزائر. [1]

أما التجارة الجزائرية فلقد كانت محتكرة من طرف الأوساط اليهودية والفرنسين، وإن المحاولات الضعيفة التي قام بها بعض المسلمين الجزائريين في هذا الميدان قد اصطدمت بعداوة الإدارة بالإضافة إلى أن التجارة تتطلب أموال ضخمة، والبنوك في أيدي الفرنسيين ولذا فإن المسلمون لا يستطيعون أن ينجحوا إلا إذا وقعوا في قبضة الرأسماليين من اليهود والفرنسيين. [2]

وكانت سياسة الاستعمار تستهدف مراقبة ما يتم في الأسواق من مبادلات تجارية قصد المحافظة على أمن واستقرار المصالح الاستعمارية وكذا العمل على ضرب حصار اقتصادي على القبائل الثائرة[3]، أما فيما يخص الصادرات والواردات فكانت ثقيلة الحركة منقطعة عن العالم إلا بعض ما كانت تتصل به بواسطة القوافل الآتية من صحراء إفريقيا والمغرب الأقصى التي تحمل معها أشكالا من السلاح الأبيض وأنواعا من البضائع والسلع مثل: العاج وريش النعام والجلود والصوف والوبر والتمر والتوابل ومنتوجات الصوف والحرير وخشب البنادق وقليل من منتجات أوروبا. [4]

ولم يكن للجزائريين وجود في هذه الحركة التجارية، وما يقومون به سوى بيع شركات الاحتكار والتجارة ما يزيد عن حاجتهم المحلية (أصواف، تبغ، حبوب...إلخ) ثم يشترون من المستوردين الأجانب كل ما يلزمهم لحياتهم اليومية، فهم من جهة يستهلكون أكثر مما ينتجون، ومن جهة أخرى لا يشاركون في حركة التصدير إلا بصفة قليلة، وهذا ما أدى بالشعب إلى الفقر والحرمان. [5]

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 79.

[2] المرجع نفسه، ص: 80.

[3] صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 350.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 5، ص: 99.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 128.

ولقد أدت هذه السياسة الاقتصادية المفروضة من قبل الاستعمار إلى وجود طبقة كبيرة من الشباب الجزائريين العاطلين عن العمل بالإضافة إلى انتشار الآفات الاجتماعية والأمراض...إلخ. [1]

[1] أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق، ص: 132.

المبحث الثاني: الأساليب الاستعمارية الفرنسية ضد المجتمع الجزائري

عند دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، جلب معه عدة أساليب تخدم مصالحه وتعود عليه بالنفع والفائدة ومن هذه الأساليب السياسة التعسفية المختلفة، بالإضافة إلى الاستيطان ومصادرة الأراضي.

المطلب الأول: السياسة التعسفية_ دراسة عامة_

منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر يوم 5 جويلية 1830، جلب معه كل أنواع البطش والحرمان، ورغم تعهد السلطات الفرنسية في البيان الذي وزع على الأهالي عند نزولهم إلى الجزائر يقولون فيه «**على أنهم أصدقاؤهم ومجيء الفرنسيين إلى الجزائر تسبب فيه الداي بإقدامه على إهانة قنصل فرنسا، ونعدكم بأن لا يتعرض لكم أحد في أمور دينكم ولا نسعى للاستلاء على أموالكم وخراب بلادكم وإنما جئنا لنطرد الأتراك الذين طغوا عليكم...**». [1]

ولكن فرنسا لم تلتزم بوعودها حيث تم الاستلاء على خزينة الداي ونهبها التي كانت تحتوي على المال والذهب والفضة والجواهر...الخ [2]، وتذكر بعض الوثائق أن ضباط الحملة الفرنسية قد اختلسوا ما قيمته 50 مليون فرنك فرنسي واكتفوا بتسليم ما يعادل ذلك للحكومة الفرنسية وقد أرسلت هذه الأموال والثروات الجزائرية في صناديق خاصة إلى فرنسا على ظهر 5 بواخر فرنسية. [3]

كما تم حل منظمة الإنكشارية التي كان عدد أفرادها العزاب 3500 فردا والمتزوجين حوالي ألف شخص، وترحيلهم جماعيا على متن سفن فرنسية إلى الأناضول، بترويج فكرة أن معظمهم قد ولدوا هناك وبأنهم طلبوا ذلك حسب ادعاء قائد الحملة، حيث تم التفريق بينهم وبين نسائهم وأولادهم واستولوا على ممتلكاتهم. [4]

---

[1] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**،ج1، ص: 217.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان، 1992، ص:24.

[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 102.

[4] سلوان رشيد رمضان: **الأوضاع الاجتماعية في الجزائر في خلال الاحتلال الفرنسي**، مذكرة دكتوراه في تاريخ الحديث، إشراف: محمد حمد المشهداني، جامعة تكريت العراق، 2013، ص: 53.

ولقد كان الجنرالات والضباط يتسابقون لاختيار أجمل الحدائق والمساكن الأكثر ملائمة للسكن فيها وكانوا يقطعون الأشجار أو يقلمونها حسب رغبتهم ولم يعد المالكون قادرين على الدخول إلى ممتلكاتهم[1]، من جهة أخرى كان الجنود الفرنسيون يعيثون فسادا في المدينة، حيث انتزعوا البلاد وقشروا الجدران في الغرف بحثا عن المال المخبأ والكنوز التي قرأوا عنها أو سمعوا بها، كما خربوا الفيلات وقطعوا الأشجار فخلعوا أعمدة المنازل لإيقاد النار...إلخ. [2]

أما نظرات السكان فكانت مليئة بالحزن وحال المدن تنذر بالشأم، حيث أغلقت الدكاكين وأصبح أصحابها يجلسون أمامها بانتظار ساعات الفرج، وفضل عدد من السكان الاعتكاف في البيوت أو في المساجد داعين الله الخلاص والنجاة مما حل بالبلاد. [3]

كما قام الاستعمار الفرنسي بقتل الأفراد والقيام بالعديد من الإبادات الجماعية للسكان منها إبادة سكان منطقة لبليدة في 18 نوفمبر 1830 من خلال إقامة مجزرة رهيبة تم فيها إبادة الصغير والكبير كما تم نهب كل شيء، بالإضافة إلى مجزرة قبيلة العوفية في الجزائر العاصمة 1832، حيث دخلت القوات الفرنسية خيامهم وهم نيام وقتلهم جميعا، بحيث بلغ عدد القتلى في ليلة واحدة500 شخص[4].

إضافة إلي أن الدين الإسلامي والعوائد الإسلامية لم تحترم، حيث استولوا على الأوقاف وعلى المساجد وحولوها إلى كنائس ونبشوا القبور ولم يحترموا حتى عظام الأموات. [5] التي حملوها بالسفن إلى مرسيليا لبيعها لعامل مسحوق العظام وكتب أحد الضباط الفرنسيين سنة 1843 عن أعماله التدميرية عندما كان في شرشال يقول "**لقد هدمت الكثير من الدواوير وأزيلت من الوجود قرى بكاملها بعد اشعال النيران فيها، وقطعت عدة آلاف من أشجار التين والزيتون وغيرها...الخ، وأنا لا**

---

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 205.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص: 25.

[3] سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص: 54.

[4] كمال كاتب: **أوربيون و أهالي ويهود بالجزائر(1830-1962)**، تر:رمضان زبيدي، دار المعلرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ص:81.

[5] المهدي بوعبدلي: "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 8، الجزائر، ماي –جوان 1972، ص: 310.

أرى مبررا لهذا النوع الأخير من التخريب، خاصة إذا كنا نريد حقا أن نحتل البلاد، وعل الأقل أن نفرض على أهلها الضرائب". [1]

ومن جراء هذه الأعمال أصيب السكان بالفقر والجهل والمرض وتفشت البطالة داخل المجتمع الجزائري وأصبح هناك العديد من المتشردين بالإضافة إلى تدني مستوى المعيشة ومس الجوع معظم الجزائريين، حيث كان السكان معظم الأوقات يلجؤون إلى استهلاك النباتات الغير صالحة للتغذية البشرية مثل الحشائش التي تنمو تلقائيا، وأصبح الأوروبيون كافة يسكنون القصور، أما الجزائريون يسكنون في الخيام من الصوف والوبر ويعيشون على التسول والتقاط الفضلات. [2]

المطلب الثاني: سياسة الاستيطان

يعتبر الاستيطان من بين أهم السياسات التي اعتمدت عليها فرنسا من أجل فرض سيطرتها على الجزائر، حيث فتحت أبواب الجزائر أمام الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة للهجرة إليها والاستيطان فيها مقدمة لهم كل الظروف المناسبة لذلك. [3]

ولم تكن الظروف خلال السنوات الأولى من الاحتلال ملائمة للهجرة الأوروبية إلى الجزائر، ومع ذلك نزل إليها العديد من المستوطنين واستطاعوا أن يستولوا على العديد من الأراضي، ولما امتلأت مدينة الجزائر بمثل هؤلاء اتجهت الأنظار إلى باقي نواحي الجزائر مثل: سهل متيجة والساحل، حيث فكر الجنرال الفرنسي كلوزيل*، بأن يحول رؤوس الأموال الأوروبية المتجهة إلى القارة الأمريكية نحو الجزائر، فأصدر قرار 21 سبتمبر 1830م، الذي يتيح مصادرة أملاك الوقف وأملاك المؤسسات الدينية والثقافية والخيرية وأملاك الدولة التركية قصد توزيعها على الوافدين الأوروبيين. [4]

---

[1] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 278.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 133.

[3] موسوعة قصة وتاريخ الحضارات بين الأمس واليوم، مؤسسة علي سعد وشركائه للنشر والتوزيع، تونس، 1999، ص: 132.

* ولد في 1772 قاد الجيش الفرنسي في الجزائر ابتداء من أوت 1830، ثم استدعي لفرنسا في 1831، وبعد اندلاع الثورة الفرنسية عين على رتبة ماريشال وعاد لقيادة الجيش في الجزائر في 8 جويلية 1835، توفي في 1842، ينظر/حمدان خوجة، مصدر سابق ص: 177.

[4] صالح عباد: **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص: 12.

أما أول الوافدين في إطار الاستيطان الرسمي مجموعة من 400 مهاجر من ألمانيا وسويسرا سنة 1832م، حيث تم تقسيمهم إلى مجموعتين الأولى تتكون من 50 أسرة استقرت بمنطقة دالي إبراهيم بالعاصمة على مساحة 227 هكتار، أما المجموعة الثانية فتتألف من 25 أسرة استقرت في منطقة القبة على مساحة 93 هكتار، وهاتين المنطقتين تقعان في فحص مدينة الجزائر. [1](ينظر الملحق رقم11).

ولقد أنشأ الجنرال كلوزيل أحد أكبر مشجعي الاستيطان في الجزائر شركة فلاحية سماها "المزرعة التجريبية لإفريقيا" وسمح للعسكر الإقامة فيها، حيث قال للأوروبيين سنة 1835"**لكم أن تنشأوا من المزارع ما تشاؤون ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها، وكونوا على يقين أننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة، وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا منذ بضعة قرون**". [2]

أما ثاني أشكال الاستيطان الذي قامت به فرنسا في الجزائر هو الاستيطان العسكري حيث أخذت تشجع العسكريين على الاستمرار في الجزائر وانشاء المستوطنات، ورأى الجنرال بيجو*، أن الاستيطان مهمة عسكرية يحققها المستوطنون العسكريون أو المدنيون المنظمون عسكريا، من هنا أخذ يشجع العسكريين الذين أنهوا خدمتهم على الاستقرار في الجزائر وأنشأ المستوطنات لكي يعملوا فيها بصفة جماعية كما أنشأ المزارع حول المستوطنات لكي يشغلها الجنود. [3]

---

[1] علي عبود: **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض (1830-1899) القطاع الوهراني نموذجا**، مذكرة ماجستير، إشراف: محمد موفق، جامعة وهران، 2013، ص: 56.

[2] عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص: 119.

* ولد في فرنسا عام 1784، كان ينتمي لعائلة ميسورة الحال من نبلاء الريف، عين برتبة ملازم في حرب نابليون سنة 1806، أرسل إلى الجزائر سنة 1836، وعقد معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1837، ثم عاد إلى فرنسا بعدها أرسل إلى الجزائر مرة ثانية في 1841 لإكمال السيطرة على باقي المدن، منح لقب المارشال سنة 1843 كمكافئة لخدماته، توفي بمرض الكوليرا في يونيو 1849، ينظر/ سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص: 78.

[3] صالح عباد: **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين**، ص: 15.

وكذلك أوصى الجنرال بيجو سنة 1842م، بالاحتفاظ بالأراضي التي استولت عليها الإدارة الاستعمارية وضمتها إلى أملاك المستوطنين، وشجع قدماء المحاربين على المجيء للاستيطان في الجزائر وطلب من المستوطنين الرجوع إلى فرنسا للزواج ثم العودة، وذلك ليضمن استقرارهم في المستوطنات التي سوف تنشأ لأجلهم، والاستفادة من المساعدات التي تقدمها الحكومة الفرنسية، وقدر عدد المستوطنين ما بين 8 و9 ألاف مستوطن فرنسي و180 فرنك نفقات بناء المستوطنات بمستلزماتها لكن المشروع رفض من طرف البرلمان، بسبب ضخامة القرض المطلوب. [1]

وبعد فشل الاستيطان العسكري وتخوف الحكومة الفرنسية من عدم نجاح المراكز الاستيطانية العسكرية وفكرة الجندي الفلاح، ولم تكن تريد جعل الجندي بعيدا عن العمل العسكري، لجأت إلى نوع آخر من الاستيطان وهو الاستيطان المدني، حيث كانت ترى الحكومة أن هذا النوع من الاستيطان يجلب لفرنسا رؤوس أموال بصفقات تعقدها مع رجال الأعمال الأوروبيين، وكذلك لكي تقضي على البطالة الفرنسية، وذلك بمنح السكان الفرنسيين أراضي بالجزائر لخمتها، لذا اهتمت بالاستيطان المدني لأنه ليس مكلفا بينما الاستيطان العسكري يشغل الجندي عن أعماله العسكرية.[2]

ولقد أدت هذه السياسة الاستيطانية في الجزائر إلى زيادة عدد المستوطنين بشكل ملحوظ، حيث كان عدد المستوطنين 28 ألفا سنة 1840م وقفز هذا الرقم إلى 109 آلاف سنة 1848م[3]، ففي سنة 1843 وحدها وصل إلى الموانئ الجزائرية 14 ألفا و137 مهاجرا منهم أكثر من 12006 من الفرنسيين والباقي من الألمان والأيرلنديين والسويسريين كما اشتدت عمليات بناء المستوطنات حيث بلغ عددها سنة 1844 فقط 48 مستوطنة في المتيجة والساحل. [4]

---

[1] علي عبود ، المرجع السابق، ص: 56.

[2] عبد القادر سلماني: **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة (1832-1847م)**، دار قطبة للنشر والتوزيع الجزائر، 2013، ص: 271.

[3] عبد المالك خلف التميمي: **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي**، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص: 21.

[4] صالح عباد: **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين**، ص: 16.

إن السيطرة على الأراضي الزراعية واستيطانها من طرف الأوروبيين أدى إلى خلل في وضائف السكان المحليين وطريقة عيشهم واستقرارهم، لأن الأرض كانت مصدر رزقهم الوحيد ومجال عملهم وبانتزاع هذه الأراضي من طرف الاستعمار وجد الشعب الجزائري نفسه مهجرا من أرضه.

فلقد سعت القرى الاستيطانية باختراق المجتمع الجزائري والتغلغل في أوساطه وذلك لتحطيم الأسس التي يقوم عليها مجتمع استيطاني بديل [1]، حيث أصبح الأوروبيون يسيطرون ويسكنون الدور والقصور في المدن والقرى وعدد من السكان الأصليون من أهل البلاد يسكنون في الخيام المصنوعة من الصوف والوبر في الجنوب وعدد منهم كان يسكن بيوت متواضعة معمولة من القش والطين، أما سكان المناطق الشمالية من الجزائر فكانوا يسكنون على مقربة من المدن في بيوت مصنوعة من صفائح يطلق عليها مدن القصدير [2].

ويبدوا أن الأهداف الاقتصادية لفرنسا بعد التجربة الاستيطانية بدأت تحقَّق، ولاسيما بعد السيطرة على مساحة واسعة من الأرض الصالحة للزراعة، إذ أن الغاية الأساسية التي كانت تسعى إليها فرنسا هي محاولة إجراء تغيير في السكان لصالح المستوطنات الجديدة، وتهجير السكان أو قتلهم واستيطان الأرض الخصبة من المستوطنين من شعوب أوروبا لتحقيق أهداف فرنسا التوسعية. [3]

---

[1] بن داهة عدة،: **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض (1830-1962)**، ج 1، وزارة المجاهدين، الجزائر 2008، ص: 107.

[2] سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص: 187.

[3] المرجع نفسه، ص: 188.

السنوات	رجال	نساء	أطفال	المجموع
1830	/	/	/	600
1832	/	/	/	4858
1833	4596	1545	1671	7812
1840	12028	9159	8017	27204
1850	51007	37212	37529	125748

جدول يوضح عدد المستوطنين الوافدين إلى الجزائر في السنوات الأولى من الاحتلال. [1]

المطلب الثاني: مصادرة الأراضي

بمجرد استقرار الاحتلال الفرنسي بالجزائر حتى بادر بمصادرة مساحات واسعة من أراضي الأهالي حيث أعلنت سلطة الاحتلال، رغم تعهدها باحترام ممتلكات الأهالي على تكوين قطاع الدولة باسم المستوطنين وضمت إليه بموجب مرسوم 8 مارس 1830م، أراضي الحكام العثمانيين من الدايات والبايات وبعض الكراغلة التي كانت قد أعادتهم طردا إلى تركيا. [2]

فابتداء من سبتمبر 1830 قرر الجنرال كلوزيل مصادرة الأوقاف وضمها إلى الدومين، ودون تعويض أصحابها ودون صيانتها، وكان أول قرار أصدر في 8 سبتمبر 1830 بشأن الأملاك العامة في الجزائر ومما جاء فيه أن الدور والدكاكين، والمخازن والحدائق والاراضي والمحلات والمؤسسات مهما كانت التي كان يشغلها الأتراك اللذين خرجوا من الجزائر أو التي يشغلها أناس باسمهم بالإضافة إلى الأوقاف كل ذلك يدخل في أملاك الدولة ويجب أن تستثمر لحسابها. [3]

---

[1] إبراهيم مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)**، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 125.

[2] المرجع نفسه، ص: 122.

[3] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، ج 1، ص: 74.

وباعتبار أن الملكية كانت في غالبيتها المطلقة ذات طابع جماعي، فقد نصت القوانين الفرنسية على مصادرتها من أصحابها إذ هم لم يسوُّوا وضعيتها القانونية في ظرف 3 أشهر، فمن الجزائريين لم يكن يدري ما هي الوثائق الإدارية والتسوية القانونية، ومنهم من كان غائب أو من المهاجرين أو اللذين التحقوا بصفوف المقاومة. [1]

وفي 28 ماي 1832م جاء قرار بوضع سجلات تقيد فيها طبقا لأحكام القانون الفرنسي كل الرهون العقارية والإيجارات التي تفوق مدتها تسع سنوات على مستوى كتابات ضبط الجزائر ووهران وعنابة ثم تبعه قرار مارس 1833 الذي أمر كل المالكين والمجموعات الدينية، بأن يسلموا سندات ملكيتهم إلى الإدارة والأملاك العقارية في أجل محدد ونتج عنه مصادرة أملاك البايلك، كما تم ترحيل أكثر من 5232 أسرة من الريف. [2]

كما جاء قانون في أكتوبر 1844م وهو قانون خاص بالأوقاف والعقارات وجاء فيه أن الأراضي الغير مزروعة أو التي لم تثبت ملكيتها بعقد صريح ولم تسجل في المصالح العقارية الفرنسية تصبح تابعة للأملاك الدولة، وتم رفض الأملاك المسجلة قبل الاحتلال والأشخاص اللذين لا يتبعون هذه التعليمات تعتبر أراضيهم مهملة وبدون مالك ومن حق الدولة الاستيلاء عليها، ويعتبر هذا تعجيزا للجزائريين اللذين كانوا يجهلون طرق التعامل مع القوانين الفرنسية، كما أنهم لا يملكون العقود التي يستطيعون بها تسجيل أراضيهم. [3]

ولعل أخطر قانون القاضي بمصادرة الأراضي الجزائرية هو قانون 16 جوان 1851 والذي ينص على أن الملكية هي حق مضمون للجميع بدون تمييز للملاك من الأهالي والملاك الفرنسيين

---

[1] مصطفى عيد: **الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل أوربان) 1812-1884**، مذكرة ماجستير في تاريخ معاصر، جامعة الجزائر، 2008، ص:48.

[2] بن داهة عدة، المرجع السابق، ص: 197.

[3] بشير بلاح، المرجع السابق، ص: 158.

وغيرهم وكذلك يخول لفرنسا حق السيطرة وملكية أراضي العرش [1]، كما أكد هذا القانون أن القبائل لا تملك أراضي العرش ولكنها تملك حق استغلالها وأنه يمكن أن تنزع عنهم الأراضي الزائدة. [2]

والواقع أن هناك هدفين من مصادرة الأملاك على هذا النحو، الأول سياسي والثاني اقتصادي فالأول هو خوف الفرنسيين من أن بقاء المسلمين على أملاكهم وخصوصا أملاك الوقف التي هي مقدسة عند الجميع، وهذا ما يجعل من علمائها ووكلائها ومفتيها زعماء دينيين وسياسيين معارضين للوجود الفرنسي، والثاني أي الهدف الاقتصادي هو أن بقاء تلك الأملاك في أيدي المسلمين يبقيهم أغنياء ومستغنين عن السلطة الجديدة ولن يحصل الفرنسيون الذين رافقوا الجيش والتحقوا به على طريقة لشراء الأملاك والاستقرار في الجزائر. [3]

وكذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى طرق أخرى لنهب المزيد من الأراضي كالإيجار أو البيع الشكلي، حيث يقول أحد الجنود الفرنسيين "**عندما كان الأهالي يرفضون بيع أراضيهم كنا نطاردهم فإذا قاومونا بالسلاح، فإن ذخيرة الجنود كانت أقوى من الأوراق القانونية وهذا هو حق الغزو...**».[4]

فلقد أدت كل هذه القوانين الصادرة من الاستعمار الفرنسي إلى سلب العديد من أراضي الشعب الجزائري حيث فقدت في العشرية الأولى ما بين 1830 -1840 ما يعادل 249,000 هكتار، وصودرت من أراضي متيجة وحدها 60000 هكتار بسبب عدم تقديم أصحابها الوثائق التي تثبت ملكيتهم لها في الوقت المناسب [5]، أما في منطقة الجزائر وحدها فتم احتكار أكثر من 168 ألف هكتار [6]، وكان الهدف من هذه السياسات الفرنسية هو تفقير الجزائريين وإجبارهم على الهجرة والحصول على الأملاك للأوروبيين الواردين على الجزائر بهدف الاستيطان والاستعمار. [7]

---

[1] مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص: 49.

[2] محفوظ قداش: **جزائر الجزائريون**، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 154.

[3] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص: 76.

[4] إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص: 124.

[5] عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، ص: 118.

[6] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 271.

[7] أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص: 77.

المبحث الثالث: انعكاسات السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري

لقد انعكست السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري بعدة مظاهر، عادت بالسلب علي الجزائريين في جميع نواحي الحياة.

المطلب الأول: المقاومة الشعبية

لقد لاقى الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر، رفضا قاطعا من طرف الشعب الجزائري الذي رفض الأساليب الاستعمارية ضده، وتجلى ذلك الرفض في المقاومة التي أخذت اتجاهات متعددة واتبعت أساليب مختلفة فكان منها التجار والعلماء وكان منها المقاومة الشعبية الدينية التي قادها المرابطون ورؤساء القبائل تحت راية الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الأرض والشرف. [1]

فأول من قرر المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي هم عرب البادية والفلاحين ورؤساء القبائل ورجال الدين، وعندما شعرت القبائل والمدن المجاورة بالخطر تحالفت وقررت المقاومة، ومن ثم بدأت سلسلة من الاصطدامات مع العدو وتحولت إلى ثورة عامة، حيث ظهر من خلال هذه الثورة زعماء لعبوا دورا هاما في السنوات الأولى من الاحتلال. [2]

ولعل أهم مقاومة شهدتها السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي في الجزائر هي مقاومة الأمير عبد القادر * من 1832 إلى 1848م، حيث ابتدأت هذه المرحلة بالتحاق الشاب عبد القادر بالمتطوعين للجهاد صحبة أبيه الشيخ محي الدين، فاشتهر أمره وعرف بشجاعته وحسن تدبيره

---

[1] بسام العسلي،: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي**، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، ص: 91.

[2] أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ص: 85.

* هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن مختار الحسيني، مجاهد وأديب وشاعر، ولد سنة 1807 في وهران وتعلم فيها، زار القاهرة وبغداد ودمشق وعاد إلى الجزائر سنة 1828، بويع من طرف القبائل لقيادة الجهاد سنة 1832، خاض عدة معارك مع الفرنسيين، ضعف جيشه واستسلم للفرنسيين في 1848، أفرج عنه بعد أن سجن 5 سنوات في فرنسا توفي في سوريا سنة 1856م، ينظر/ شارل هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ط 2، تونس، 1982، ص 38-42.

وحنكته، وهذا ما أهله ليتولى قيادة الجهاد بعدما اعتذر أبوه لإكمال هذه المهمة [1](ينظر الملحق رقم12).

وبويع الأمير عبد القادر من طرف السكان الجزائريين في 1832م، حيث شرع في تنظيم الدولة الجزائرية الجديدة لتكون مدينة معسكر هي مقرها، وقام بتكوين جيش وطني وإنشاء المؤسسات ووضع قوانين جديدة مستمرة من الشريعة الإسلامية، وعند تأسيس الدولة الجزائرية قام الأمير عبد القادر بتحديد الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها من خلال تنظيم المقاومة الجزائرية وهي:

1_ نشر الأمن في البلاد.
2_ توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد.
3_ مقاومة الفرنسيين بكل الوسائل.
4_ دفع الفرنسيين لاعتراف بالجزائر كدولة وبعبد القادر أميرا للبلاد. [2]

ولقد قام الأمير بعدة هجومات ضد الاستعمار الفرنسي وتوالت انتصاراته حيث أصبحت حركة الجهاد رمزا للمقاومة، وتميزت المرحلة الأولي من جهاد الأمير عبد القادر (1832-1837م) هو إلزام القبائل المقيمة حول المراكز الفرنسية بالغرب بقطع تمويناتها عن الغزاة، كما اعتمدت خطته العسكرية على حرب العصابات موقعا بالقوات الفرنسية هزائم كبيرة منها: خنق النطاح الأولى والثانية وبرج العين وكذلك معركة وادي المقطع 1836. [3]

ونتيجة لتحول مقاومة الأمير إلى حرب العصابات (1844-1847م)، قام الفرنسيون بتكثيف الهجمات على القبائل حتى تضطر في الأخير إلى الامتناع عن تقديم أي عون للأمير وإتباعه مما

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، ص: 148.

[2] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر (من البداية ولغاية 1962)**، دار الغرب الإسلامي، ط2، الجزائر، 2005 ص: 119.

[3] صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 199.

أدى إلى تناقص جيش الأمير[1]، واضطر هذا الأخير إلى الاستسلام في 23 ديسمبر 1847م وسجن في سجن تولوز في فرنسا لمدة 5 سنوات ثم أطلق سراحه وتوجه إلى دمشق أين قضي هناك بقية أيام حياته. [2]

كما كانت هناك مقاومة أخرى بارزة هي مقاومة أحمد باي* 1830- 1848م، التي قامت في الشرق الجزائري، فمنذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر جمع أحمد باي أنصاره من الأتراك الذين قدموا معه في الجزائر، قصد إعداد جيش قوي يمكن أن يعتمد عليه، كما عمل بجدية على تحصين عاصمته قسنطينة، ثم أقام ثكنات جديدة بها جنود من المواطنين الجزائريين[3]، ولقد كانت هناك عدة مواجهات مع أحمد باي والاحتلال الفرنسي كان أبرزها سنة 1836م، حيث حاول الفرنسيون إرغام مدينة قسنطينة على الاستسلام لكنهم فشلوا في ذلك، وانطلق أحمد باي على رأس جيشه وطارد الفرنسيين حتى قالمة، ولقد كان لهذا الانتصار وقع كبير في رفع الروح المعنوية للمجاهدين.[4]

وبعد معارك كثيرة قادها أحمد باي ضد الاستعمار الفرنسي تقدم به السن وفقد موارده المالية وتكاثر المتآمرون عليه من طرف الجزائريين والفرنسيين، ثم عرض استسلامه مقابل استعادة أملاكه وتم ذلك في بسكرة يوم 5 يونيو 1848م. [5]

كما أخذت المقاومة الجزائرية بداية الاستعمار أشكالا أخرى وذلك من خلال الشعر الشعبي الذي يعطي حماسا للشعب من أجل الدفاع عن وطنه وعرضه، وكذلك أخذت مظهرا فنيا مثل تمثيليات بالألعاب التي عبَّر الشعب من خلالها عن موقفه من المحتل عن طريق انتقاد النظام الاستعماري، والمشهد الرئيسي فيه ظهور الجندي الفرنسي وهو مهزوم،[6] (ينظر الملحق رقم13)

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **عصر الأمير عبد القادر**، ص: 169.

[2] عمار عمورة،: **موجز في تاريخ الجزائر** ، ص: 139.

* ولد في الجزائر سنة 1786 من أب تركي وأم جزائرية، تربى يتيم الأب، وهو من أسرة قانة في الصحراء، أبوه الشيخ محمد الشريف خليفة باي، خاض عدة معارك ضد الاستعمار الفرنسي توفي في الجزائر سنة 1826، ينظر/ بشير بلاح، المرجع السابق،ص113.

[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 285.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 138.

[5] بشير بلاح، المرجع السابق، ص: 120.

[6] عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 25.

ومهما تعددت أساليب المقاومة الجزائرية إلا أن هدفها كان واحد وهو التخلص من الاستعمار الفرنسي وأساليبه المجحفة.

المطلب الثاني: الهجرة

ارتبطت ظاهرة الهجرة في الجزائر بدخول الاستعمار الفرنسي في 1830م وشهدت حركة واسعة، وتعود جذورها إلى سنة 1832م، لأنها السنة التي تفجر فيها اضطهاد فرنسا للجزائريين، أكثر من أي وقت مضى ممثلا في عمليات الإبادة وفرض الضرائب على السكان، ومصادرة الأراضي...إلخ. [1]

وتنوعت الهجرة بين الهجرة اللاإرادية التي يقرر صاحبها بنفسه وبكل إرادته الهجرة، والتهجير الإجباري الذي يلزم فيه الفرد أو الجماعة بترك البلاد أو المنطقة التي يسكنها لأنه يشكل خطرا من الأخطار [2]، ولعل أول أنواع الهجرة التي مارستها فرنسا في الجزائر هو التهجير الذي مس الداي العثماني في الجزائر واختيار منفاه في إيطاليا، ثم بعد ذلك يأتي تهجير حكام الأقاليم، ثم المرحلة الثانية من التهجير التي شملت الجيش التركي وكذلك كبار التجار والملاك إلى الأناضول. [3]

أما الذين اختاروا أسلوب المقاومة صراحة فقد اتخذت فرنسا ضدهم إجراءات عقابية صارمة مثل: مصادرة أراضيهم وأملاكهم واحتجاز عائلاتهم، وطبقا لهذه السياسة حكم على المفتي مصطفى لكبار بطي بالنفي إلى مصر، ونفس الإجراءات اتبعت ضد كل الأشخاص الذين اتهموا بتأييد المقاومة وتعاملهم معها، وكان على هؤلاء أن يختاروا بين الإعدام أو النفي مما أرغم الكثير منهم بالتظاهر بالولاء للإدارة الفرنسية لتجب العقوبة. [4]

---

[1] بشير بلاح، المرجع السابق، ص: 317.

[2] شيخي عبد المجيد: "**الهجرة في مواكبة المقاومات**"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان الاحتلال 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، 30-31 أكتوبر، الجزائر، 2006، ص: 33.

[3] أبو القاسم سعد الله: "**هجرة بعض الأعيان الجزائريين(1830-1847)**"، المرجع نفسه، ص: 23، 24.

[4] نادية طرشون: **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 257.

والواقع أن الهجرة الجزائرية تنوعت اتجاهاتها بين المغرب والمشرق العربيين وحتى البلدان الأوروبية، فابتداء من عام 1832م استوطن الجزائريون من معسكر وتلمسان بالمغرب الأقصى، كما شهد الشرق الجزائري عام 1837م هجرة إلى تونس وسوريا. [1]

ورغم حالة التأزم والتوتر التي ميزت العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني إلا أن هذا الأمر لم يحول دون انتقال العديد من الجزائريين إلى المغرب الاقصى والاستقرار بها هروبا من السياسات الاستعمارية ضدهم، وكذلك لاقتناعهم أن إقامتهم في المغرب الأقصى لا تكلفهم الكثير ولن تستمر طويلا، ولا يتوانوا في العودة إلى بلادهم حالما يخرج الفرنسيون منها، ومن المدن المغربية التي كانت أكثر استقطابا لهؤلاء الجزائريين هي وجدة، فاس، طنجة، تيطوان، الرباط...إلخ، وكان غالبية الجزائريين قد قدموا من تلمسان، معسكر، مستغانم،...إلخ ومن أشهر العائلات الجزائرية التي توجهت إلى المغرب نذكر عائلة المشرفي، المورالي، الأعرج...إلخ. [2]

إضافة إلي المغرب توجه الجزائريون إلى تونس التي كانت كمنطقة استقرار أو العبور إلى البلدان الإسلامية أو الأوروبية الأخرى، ولقد ساهمت عدة عوامل داخلية وخارجية في تزايد وتيرة هجرة الجزائريين نحو تونس والاستقرار بها وهذا التطور أرغم السلطات الاستعمارية الفرنسية اتخاذ إجراءات للحد من هذه الظاهرة ومنها تطبيق قانون الحجز العقاري، الذي سنه الجنرال بيجو سنة 1845، أي الاستيلاء على أملاك وعقارات كل شخص يتغيب عن قريته أكثر من 3 أشهر باعتباره متخليا عن أراضه وفارا إلى أرض العدو. [3]

كما كانت هناك هجرات عديدة إلى بلاد الشام خاصة سوريا، وكان أهمها سنوات 1837 و1847م، حيث تذكر بعض المصادر الفرنسية أن كثيرا من العائلات الجزائرية من بلاد القبائل قد هاجرت في سنة 1847م إلى سوريا بتوجيه من أحد شيوخ الطريقة التيجانية،[4]وفي ظرف قصير لا

---

[1] إبراهيم مهديد: **بعض عناصر تفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقا ومغربا**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة، المرجع السابق، ص: 62.

[2] نادية طرشون: المرجع السابق، ص: 266-267.

[3] المرجع نفسه، ص: 259.

[4] بشير بلاح، المرجع السابق، ص: 317.

يتجاوز 17 سنة فقدت الجزائر عددا لا يستهان به من أعيانها السياسيين والعسكريين ومن النخب الثقافية وغيرهم من السكان الجزائريين، فكلما قامت انتفاضة أو جرى احتلال منطقة جديدة، شهدت البلاد هجرة جماعية أو فردية هروبا من الاستعمار وسياسته. [1]

ولم تكن هجرة الجزائريين للخارج أو البلدان الاسلامية فقط، بل شملت أيضا هجرة داخلية، خاصة من الريف إلى المدينة وذلك لفقدان السكان أراضيهم الخصبة ومنحها للمستوطنين الأوروبيين، مما أدى بهم إلى البحث عن مناطق أخرى تضمن لهم معيشتهم.

ويؤكد الواقع الاجتماعي أن عوامل كثيرة لعبت دورها في انتشار هذه الظاهر، حيث عايش المجتمع الجزائري جميع السياسات الفرنسية ضده وفقدان حريته السياسية مع ثقل الضرائب ومصادرة الأراضي والأوقاف [2]، وكذلك انتشار البطالة والفقر والجوع والمرض، ولقد أدت هذه الظاهرة إلي إفراغ الجزائر من الكفاءات العلميَّة والدينية والمهنية وإضعاف المجتمع الجزائري من مواجهة المشروع الاستيطاني. [3]

المطلب الثالث: التعليم

لم تقتصر السياسة الفرنسية في الجزائر على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمدت إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها حيث أصرت على تجهيل الشعب الجزائري وتحطيم مقومات الأمة. [4]

وتعتبر السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي خلال فترة العمل العسكري(1830-1850م) لم تقم السلطات الفرنسية بوضع خطة لنشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين كما لم تتركهم يمارسون تعليمهم العربي الإسلامي، وفي هذه الفترة كان يوجد تناقض في الآراء حول إذا ما كان يجب تعليم الجزائريين أو عدم تعليمهم فالرأي الأول يرى ضرورة تعليم الجزائريين وكسبهم للصالح الفرنسي، أما

---

[1] عمار هلال: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 29.

[2] إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 62.

[3] بشير بلاح، المرجع السابق، ص: 323.

[4] عمارة عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 111.

الرأي الثاني والمعارض لتعليمهم يرى فيهم أعداء يجب إبعادهم إلى المناطق النائية والصحراوية وفي ظل هذا الاهمال والاختلاف في وجهات النظر ظل التعليم يعتمد أساسا على الجزائريين أنفسهم الذين كانوا يتعلمون في المدارس القرآنية والمساجد والزوايا.[1]

فالاستعمار قد حطم في بداية دخوله إلى الجزائر كل الكتاتيب والمساجد ولم يعوض ذلك بشيء آخر لأنه يعلم أن الأمة إذا تعلمت قاومت الاستعمار [2]، ولهذا الغرض أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا إلى تصفية أملاك الأحباس من المساجد والمدارس والزوايا ثم تدميرها أو إدخالها في نطاق التعامل التجاري وبذلك اختفت الكثير من المراكز التعليمية وتناقص عدد من المعلمين حتى أصبحت مادة اللغة تكاد لا تدرس. [3]

ونجد أن الاستعمار قد غرس الأمية بجذورها من خلال منع نشر لغة القرآن كونها وسيلة للتفتح وفهم الحقيقة ووسيلة للدعوة إلى الثورة، فقد تردد معلموها بدعوى أنهم يناهضون الحضارة الغربية ويقفون في وجه الغزو الثقافي. [4]

ففي مجال التعليم الابتدائي نجد أن الأطفال الفرنسيين الذين في سن الدراسة كلهم يتعلمون في المدارس التي تطبق برامج سارية المفعول في الوطن الأم بوسائل جيدة، أما الأطفال الجزائريون عندما يبلغون سن الدراسة لا يجدون سوى مقعد واحد لكل خمسة ذكور وهذا يعني أن فرصة التعليم للأطفال الجزائريين كانت بنسبة ضئيلة جدا. [5]

وإذا قامت سلطات الاحتلال بفتح العديد من المدارس لأبناء الجزائر فإنها لم يقصد منها تعليمهم ورفع مستواهم الثقافي، بل كان يقصد وراء ذلك تجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية، ومحاولة إدماجه فرنسيا، وأسست أول مدرسة فرنسية بالجزائر العاصمة سنة 1833م

---

[1] عبد القادر خليفي: **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص: 115.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 140.

[3] عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ**، ص: 311-312.

[4] عبد القادر حلوش: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص: 38.

[5] المرجع نفسه، ص: 39.

لأبناء المسلمين والفرنسيين لكن المحاولة بائت بالفشل، ثم أسست سنة 1836م مدرسة أخرى بالعاصمة خصيصا للأهالي فعرفت نفس المصير، [1] وكانت تهدف إلى دمج المسلمين في الفرنسيين عن طريق اللغة الفرنسية التي كان يعلمها الفرنسيون كما تواصلت إنشاء المدارس الابتدائية الموجهة للفرنسيين في عدة مدن كلما وقع احتلالها واستيطانها من الجاليات الفرنسية والأوروبية وأسست أيضا في مدينتي عنابة ومستغانم مدرستين بحيث بلغ في سنة 1837م،425 تلميذ مسجلين في مختلف المدارس الفرنسية العمومية منها والخاصة. [2]

السنة	عدد التلاميذ الأوروبيين
1847	7,347
1848	8,334
1849	8,828
1850	9,679

جدول يوضح عدد التلاميذ الأوروبيين في فترة ما بين 1847 و1850م. [3]

ولقد أظهر الجزائريون تحفظات في إرسال أبناؤهم إلى المدرسة الفرنسية بعد أن تبين لها انها تهدف للقضاء على شخصيتهم، والواقع ان الجزائريين لم يرفضوا التعليم كعامل تثقيفي، وإنما لأنه كعمل سياسي يهدف إلي تحويلهم عن دين أبائهم وأجدادهم[4]، ونتيجة لهذه السياسة الفرنسية الهادفة إلى تحطيم المجتمع الجزائري ومقوماته الشخصية بلغت نسبة الأمية بين الجزائريين 99% بين النساء 95 %بين الرجال. [5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص: 292.

[2] جمال قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009 ، ص:17.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، ص: 294.

[4] جمال قنان، المرجع نفسه، ص:15.

[5] عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، ص: 126.

وكان من نتائج انتشار التعليم الفرنسي، أن أصبح استعمال اللغة الفرنسية يتوسع تدريجيا بين الجزائريين بعد إتقانها من فئة تمكنت من متابعة دراستها في المدارس، أو العمل في السلك الوظيفي للإدارة الفرنسية، إلا أن الشعب الجزائري رفض هذه السياسة الفرنسية التجهيلية، إن حافظت كتاتيبه التي كانت منتشرة في كل مدينة وقرية على تحفيظ القرآن الكريم، فضلا عن الزوايا الخاصة بالطرق الصوفية، التي عملت على تعليم مبادئ النحو والصرف والبلاغة...إلخ. [1]

المطلب الرابع: الصحة

عرفت الجزائر منذ دخول الاستعمار الفرنسي إليها تدهورا كبيرا في الأوضاع الصحية، وكانت السياسة الفرنسية التي طبقتها ضد المجتمع هي سبب هذه الأوضاع [2]، حيث تميز الوضع الصحي بالجزائر بالتدهور وشيوع العديد من الأمراض المستعصية، وهذا راجع إلى نقص الرعاية الصحية وهياكل من مستشفيات وصيدليات وأطباء وممرضين، كما عمل الاستعمار على نقل العديد من الأمراض إلى الجزائر. [3]

ومن بين الأمراض التي انتشرت في الجزائر مرض الكوليرا، الذي انتقل عن طريق سفن تجارية تونسية رست بميناء الجزائر وشمل هذا الوباء معظم المدن الجزائرية مثل وهران، وعنابة...إلخ، وتسبب هذا الوباء في هلاك ثلث السكان [4]، كذلك انتشار مرض السل الذي ضرب البادية والقرى وفي المدن بصفة مريعة حيث ناهز عدد المصابين بهذا المرض 400 ألف نسمة. [5]

وإضافة إلى هذا ظهر مرض آخر وهو الجدري الذي أصاب عدد كبيرا من الأهالي الذي يشوه وجوه المصابين ويسبب لهم الصم وفقدان البصر وحتى الموت أحيانا كثيرة [6]، أما أمراض العيون

---

[1] سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص: 175.

[2] بسام العسيلي: **جهاد الشعب الجزائري**، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 2009، ص 350.

[3] الوناس الحواس، "الأوضاع الاجتماعية للجزائريين سنوات (1830-1930)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 20، الجزائر، 2013، ص: 96.

[4] فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص: 183.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص:134.

[6] إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 59.

الفتاكة فهي تذهب كل سنة نحو 80 ألف من السكان المسلمين ولا يوجد في قطر الجزائر سوى مصحة واحدة أنشأت لمعالجة العيون. [1]

وكثيرا ما كان سبب هذه الأمراض هي المجاعات والقحط والكوارث الطبيعية، حيث يذكر صالح العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة، أنها وقعت أزمة سنة 1838 أصابت الزرع وأتلفتها وهذا ما نتج عنها ارتفاع أسعار الحبوب من قمح وشعير والتمر...إلخ، كما ظهرت أزمة سنة 1847 في قسنطينة استمرت ثلاث سنوات بسبب انتشار الجراد مما أحدثه من اتلاف في المزروعات

والنباتات[2]، واضطرت هذه النكبة العديد من السكان بمغادرة أراضيها والتوجه إلى أراضي خصبة بحثا عن الرزق، ويلاحظ مدى حرص الإدارة الاستعمارية على استغلالها للأزمة في كسب عطف الأهالي ودفعهم إلى تأييدها وذلك من خلال الإجراءات المختلفة التي كانت تتخذها للخفيف من آلام الأهالي وبالتالي اظهار نفسها بمظهر السلطة الباحثة عن راحة رعاياها إلا أن الواقع مغاير لذلك تماما وهذا ما لم يكن خافيا على الأهالي.[3]

ولقد أدى هذا الوضع إلى ارتفاع الأسعار وفقدان الجزائريين لمصادر عيشهم من زراعة وقطعان ماشية...إلخ، كما ارتفعت أسعار القمح والمواد الغذائية، وكذلك أدى هذا الوضع الصحي المتردي إلى انتشار الوفيات خاصة لدى الأطفال مما جعل أمل الحياة في الجزائر لا يتجاوز الخمسين سنة، وكان يولد 38 طفل لكل ألف جزائري يموت منهم من 20 إلى 25 طفل وهذا بسبب نقص الرعاية الصحية والمجاعة. [4]

ونتيجة للأوضاع الصحية أثناء الاحتلال عرف نمو السكان تراجعا كبيرا في بعض السنوات بسبب الحروب وتدهور المستوى المعيشي والصحي والهجرة نحو الخارج، بحيث قدر عدد السكان

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 134.

[2] صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تر: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 16.

[3] إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 38-39.

[4] الوناس الحواس، المرجع السابق، ص: 96-97.

بداية الاحتلال ب 3 مليون نسمة لكنه شهد تراجعا كبيرا فيما بعد، وأدى كل هذا إلى انتشار البطالة بسبب انعدام فرص العمل وبروز الآفات الاجتماعية المختلفة بسبب الاحتجاج وتدهور مستوى المعيشة. [1]

[1] الوناس الحواس، المرجع السابق، ص: 95.

ومن خلال كل ما سبق نستنتج أن بقدوم الاحتلال الفرنسي للجزائر جلب معه عدة أساليب حاولت من خلالها القضاء على المجتمع الجزائري بكل الوسائل المختلفة، حيث عملت الإدارة الفرنسية على جعل الجزائر ملجأ للأفراد غير المرغوب فيهم من الأوروبيين ومنحهم الأراضي الخصبة والتكفل بمعيشتهم ودعمهم للسيطرة على الجزائر وإبقاء أبنائها عمالا لخدمتهم، كما مارست عدة سياسات تعسفية كان الغرض منها هو إخضاع الشعب الجزائري وإدماجه كليا في المجتمع الفرنسي، وكانت نتيجة هذه الأساليب رفضا قاطعا من قبل الشعب الجزائري وتجلى ذلك في المقاومة بكل أنواعها، كما خلفت هذه الإجراءات القسرية التي قامت بها إدارة المحتل عددا من المشكلات أهمها: هجرة الجزائريين هروبا من الواقع المرير وبحثا عن الأمان والاستقرار، بالإضافة إلى الجهل والأمية والبطالة، ومختلف الأمراض الفتاكة التي انعكست سلبا على نمو السكان الذي شهد تراجعا ملحوظا نتيجة هذه السياسات.

خاتـــــــمة

في الأخير نستنتج أن الحياة الاجتماعية في الجزائر مابين1800-1852م، قد شهدت تغيرا ملحوظا في جميع المجالات:

ففي فترة أواخر العهد العثماني كانت الجزائر تتمتع بتنوع الفئات السكانية التي يتشكل منها المجتمع الجزائري، وعرف هذا الأخير تقسيم حسب كل طبقة ومكانتها في المجتمع، بحيث أن العلاقات بين مختلف الفئات كانت تحكمها المصالح المشتركة، والتي كانت مبنية أساس الأهداف المادية والمكانة السياسية بالدرجة الأولي خاصة في المدن، أما في الأرياف فكان أكثر تجانسا من حيث تركيبته البشرية.

ولقد عرف المجتمع الجزائري نشاطا اقتصاديا وحرفيا متنوع، بحيث كان لكل فئة اجتماعية نشاطها الخاص بها، منها الزراعة، الصناعة، التجارة، والذي عرف تدهورا أواخر العهد العثماني مما أعاق تطوره وازدهاره نتيجة لعدة أسباب منها: الأساليب القديمة المتبعة، وثقل الضرائب ، بالإضافة إلي سيطرة اليهود علي التجارة الجزائرية.....الخ.

كما شهدت الجزائر تنوعا في العادات والتقاليد برز من خلاله التأثير العثماني في هذا الجانب والذي حاول فيه الربط بين المجتمع الشرقي والمجتمع الجزائري، وبذلك تنوع الموروث العثماني وشمل عدة جوانب منها اللباس، الغذاء، الزواج، الأعياد...الخ، ومازالت مختلف هذه العادات متجذرة في مجتمعنا ليومنا هذا، كما عرفت الأحوال الصحية أواخر العهد العثماني تدهورا كبيرا، نتيجة لظهور عدة أمراض وأوبئة، بالإضافة إلي الكوارث الطبيعية التي عادت بالسلب علي حياة الجزائريين.

أما عن المؤسسات الثقافية والعلمية، فلقد كانت منتشرة في الجزائر العثمانية وتنوعت من مدارس وكتاتيب ومساجد وزوايا، لكن لم يلقي التعليم الدعم الكافي من السلطة العثمانية لترقيته وتطويره، بحيث ظل يعاني من الطابع التقليدي ولم يواكب تطورات العصر آنذاك.

وبالرغم من أن التأثيرات الخارجية المختلفة التي لم تكن من طرف العثمانيين فقط بل حتى من الفئات الأخرى مثل اليهود والأندلسيين، إلا أن المجتمع الجزائري بقي محافظا علي عاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية بحيث شكَّل مجتمعا موحدا انصهر في المجتمع الجزائري العثماني.

لكن مع نهاية فترة التواجد العثماني في الجزائر ودخول الاستعمار الفرنسي 1830م، عرفت الحياة الاجتماعية منعطفا في جميع ميادين الحياة، حيث حاولت فرنسا فرض سيطرتها علي الشعب الجزائري و القضاء علي الهوية الوطنية من خلال السياسات التعسفية المختلفة التي فرضت علي الشعب منها القتل والنهب، الاستيطان، مصادرة الأراضي، خلفت من خلالها الجوع والفقر والحرمان ضد شعب كان في وقت مضي من ارقي شعوب العالم.

فكانت ردت فعل الجزائريين اتجاه السياسات الفرنسية، عبَّر عنها من خلال المقاومة التي تنوعت أساليبها إلا أن هدفها كان واحد وهو القضاء علي الاحتلال واسترجاع الحرية المغتصبة، كما أدت كذلك إلي هجرة عدد من الجزائريين هروبا من الواقع المر والحكم الاستبدادي، فانتشرت الأمية والجهل في أوساط الجزائريين، وكثرت الأمراض والأوبئة نتيجة للجوع والفقر والحرمان، وهذا ما أدي إلي تراجع ملحوظ في عدد السكان خلال السنوات الأولي من الاحتلال، وذلك ما يعكس سوء الأوضاع الاجتماعية ومحاولة القضاء علي الكيان الجزائري من طرف الاستعمار بشتى الأساليب.

وفي الأخير أرجو أن تكون هذه النضرة العامة علي الحياة الاجتماعية للجزائريين فيما بين 1800-1852م، ساهمت نوعا ما في نزع بعض اللبس والغموض علي ما كان يعيشه الجزائريون تحت ظل العثمانيين وما تغير مع قدوم الاحتلال الفرنسي، وبتالي تكون هذه الدراسة منطلقا لبحوث مستقبلية أخرى إنشاء الله.

الملاحـــــــق

الملحق رقم (1):

إنكشاري بالزى النظامي

إنكشاري

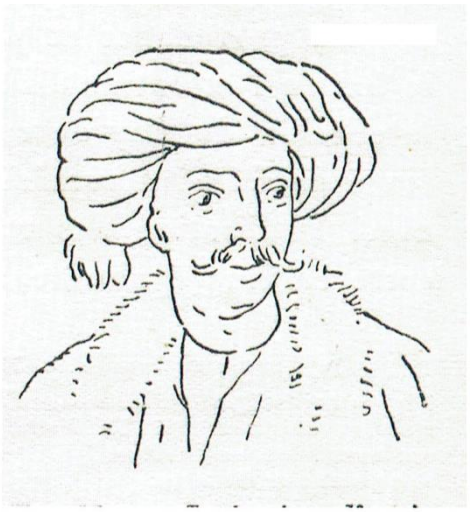

شخص تركي

جندي تركي

المرجع: أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1989، ص:205، 211.

الملحق رقم (2):

ميزابي من سكان مدينة الجزائر

احد سكان مدينة الجزائر

بسكري من سكان مدينة الجزائر

المرجع: احمد سليماني، **تاريخ مدينة الجزائر**، ص:212،214.

الملحق رقم (03):

امرأة من مدينة الجزائر مزينة بالحلي

المرجع: احمد السليماني، **تاريخ مدينة الجزائر** ، ص:215.

الملحق رقم (4):

لباس يهودية من مدينة الجزائر

فتاة من مدينة الجزائر 1840م.

امرأة من مدينة الجزائر

-ASSIA DJEBAR :op. cit,p217 -221.

الملحق رقم: (05)

الصورة توضح موكـــــب زفاف

المرجع: أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، ص:230 .

الملحق رقم(6):

الصورة رقم (1): مقهي بمدينة البليدة

الصورة رقم(2): سوق باب عزون

-ASSIA DJEBAR :op. cit,p59-187

الملحق رقم (07):

محـــل تجـــاري(حانوت)

المرجع: أحمد السليماني: **تاريخ مدينة الجزائر**، ص:187.

الملحق رقم (8):

حمـــــام

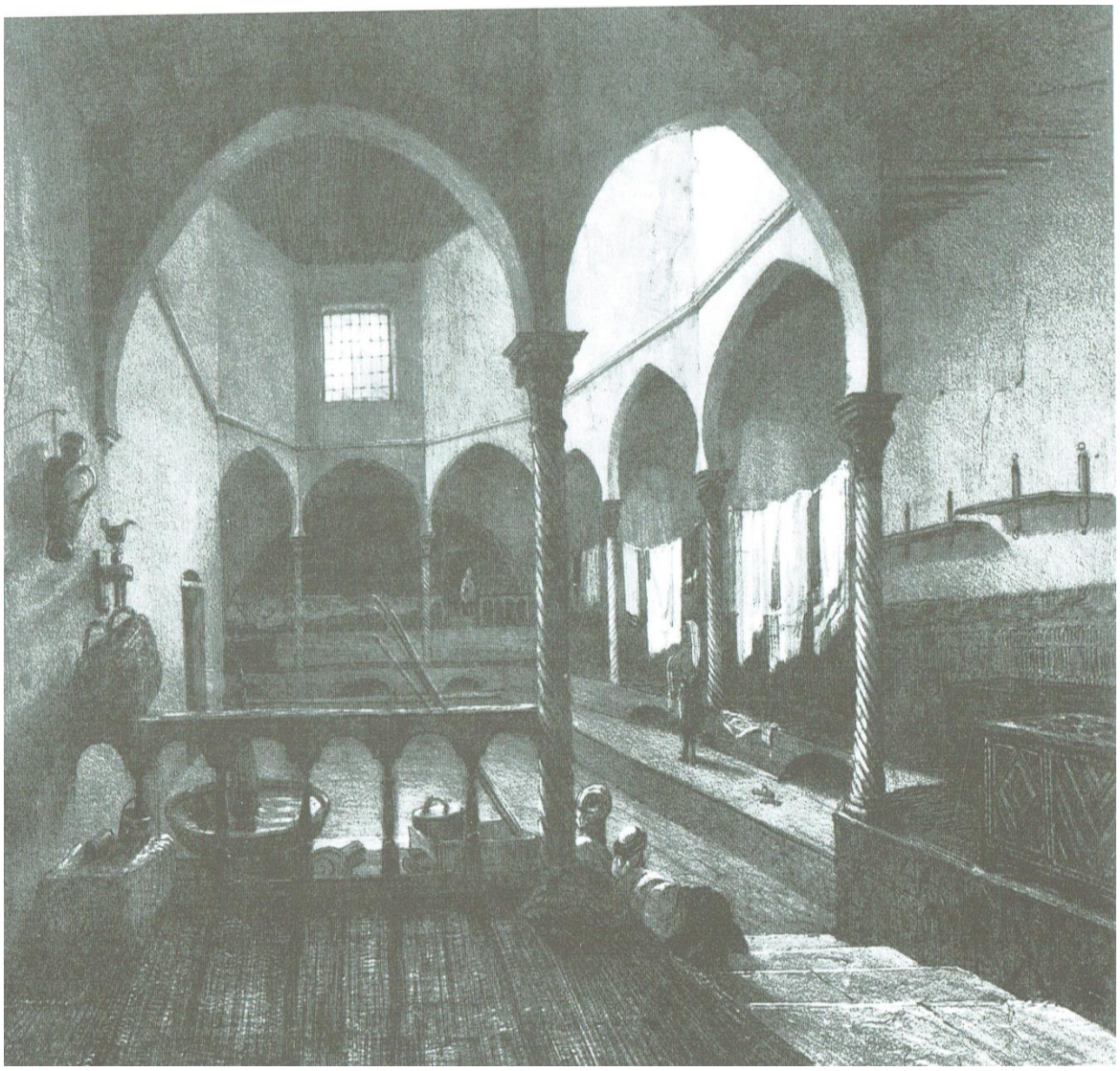

-ASSIA DJEBAR :op. cit,p:169

الملحق رقم (9):

داخل المسجد بمدينة الجزائر

-ASSIA DJEBAR :op. cit,p:161.

الملحق رقم (10):

مسـجد كيتشـاوة

-ASSIA DJEBAR :op. cit,p:37

الملحق رقم (11):

الصورة توضح مباركة أعلام المستوطنين المنطلقة نحوي الجزائر من طرف الكنيسة 1939.

بشير بلاح: المرجع السابق، ص:212.

الملحق رقم (12):

صورة للأمير عبد القادر

المرجع: عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص:436.

الملحق رقم(13):

الصورة توضح المقاومة الجزائرية

المرجع: عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ**، ص:270.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر:

1_ حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تحق: العربي الزوبيري، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006.

2- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تر:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974 .

3- محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة الباكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

4- ويليام شالر : **مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، تعر : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

ثانيا/المراجع:

1_ أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

2_ الأرقش دلندة ، عبد الحميد الأرقش: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي،تونس، 2003،

3_ اسماعيلي زوليخة المولودة علواش: **تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلي الاستقلال**، دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، .2013

4- إيشبودان العربي: **مدينة الجزائر (تاريخ عاصمة)**، دار القصبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

5- بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1997.

6- بحري احمد: **الجزائر في عهد الدايات(دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية)**، دار الكفاية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ج2، 2013.

7- بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

8- بن داهة عدة: **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض (1830-1962)**، ج 1، وزارة المجاهدين، الجزائر 2008.

9_ بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر (من البداية ولغاية 1962)**، دار العرب الإسلامي ط2، الجزائر، 2005.

10_ بوعزيز يحي: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 إلى 1954**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

11_(ـــــ،ـــــ): **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004.

12_ بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.

13- تشرشل شارل هنري: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ط 2، تونس، 1982.

14- التميمي عبد المالك خلف: **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي**، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

15- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ج5، وزارة المجاهدين، الجزائر،2008 .

16_ (ـــــ،ـــــ) : **تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)**،_ ط2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.

17_ حلوش عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010.

18_ حنيفي هلايلي: **دراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

19_ خليفي عبد القادر: **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

20_ ريمون أندري: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، دار الفكر، القاهرة، 1985.

21_ الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

22_ سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان، 1992.

23_ (ـــــ،ـــــ): **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1831**،ج1،ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

24_ (ـــــ،ـــــ): **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 3، الجزائر، 1982.

25_ (ـــــ،ـــــ) : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990

26_ (ـــــ،ـــــ) : **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2000.

27_ سعد الله فوزي: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة، الجزائر، 1996.

28_ سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

29_ سعيدوني ناصر الدين: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

30_ سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني")**، دار البصائر، ط2، الجزائر،2009.

31- سلماني عبد القادر: **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة (1832-1847م)**، دار قطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

32- السليماني احمد: **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1989.

33- شونييرغ ألبرت: **الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009.

34- طرشون نادية: **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

35- طيان شريفة: **ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1990.

36_ عباد صالح: **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

37- (ـــــ،ـــــ): **الجزائر خلال الحكم التركي (1518-1830)**، دار هومة للطباعة، ط2، الجزائر، 2002.

38- عدي الهواري: **الاستعمار الفرنسي في الجزائر (سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960)**، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

39- العسلي بسام : **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي**، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، ص: 91.

40- (ـــــ،ـــــ) :**خير الدين بربروس والجهاد في البحر(1470ـ1547م)**،دار النفائس، بيروت، ط1، ص:19ـ26.

41- (ـــــ،ـــــ): **جهاد الشعب الجزائري**، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 2009،.

42- عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى غاية 1962)** ،دار المعرفة، الجزائر، 2006.

43- (ـــــ،ـــــ): **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

44- عميراوي حميدة: **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة**، دار الهدى، الجزائر، 2004

45- فركوس صالح: **تاريخ الجزائر العام من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم، الجزائر، 2005.

46- قاصري محمد السعيد: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962)**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

47- قداش محفوظ: **جزائر الجزائريون**، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 154.

48_ القشاعي فلة الموساوي: **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830)**، وزارة الثقافة، الجزائر.

49- قنان جمال: **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص17.

50- (ـــــــ، ـــــــ): **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1790-1830**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2005.

51- (ـــــــ،ـــــــ):: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619.1830)**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر،1987.

52- كاتب كمال: **أوربيون أهالي ويهود بالجزائر(1830-1962)**، تر:رمضان زبيدي، دار المعلرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

53- مالتسان هانريش فون: **ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009.

54- المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، .1984

55- مروش المنور: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني** ،ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009.

56- مريوش أحمد: **الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ص: .13

57- معوشي أمال: **يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-8701)**، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013

58- مياسي إبراهيم: **مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)**، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

59- الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

60- نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

61- هلال عمار: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

62- والتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، دار النهضة العربية للمطالعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1989.

63- وولف جون ب. : **الجزائر وأوربا (1500. 1830)**، تر:أبو القاسم سعد الله ،دار الثقافة الجزائر،2011.

64- ويليام سبينسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر 2007.

ثالثا/ المقالات:

1_ أرزقي شويتام: "العلاقات الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 13، جامعة الجزائر، 2011.

2_ بوعبدلي المهدي: "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 8، الجزائر، ماي –جوان 1972.

3_ توفيق دحماني: **الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد السابع، الجزائر، 2013، ص: 137.

4_ تيتة ليلي:" تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائريين خلال القرن 19م" ،**مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** ، جامعة الحاج لخضر ،باتنة، العدد 17،2014،ص:124 .

5_ دراج محمد: " تأسيس إيالة الجزائر"، **مجلة عصور**، العدد 16، جامعة وهران، ديسمبر 2010، ص: 32.

6_ سعيدي خير الدين: " الجهاز الأمني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة "كان" التاريخية**، العدد 19، مارس 2013

7_ المشهداني محمد حمد ، سلوان رشيد: " أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مجلد 5، العدد 16، أوت 2013، جامعة تكريت(العراق)، ص: 425.

8_ الوناس الحواس: "الأوضاع الاجتماعية للجزائريين سنوات (1830-1930)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 20، الجزائر، 2013

رابعا/ الملتقيات:

1_ حاج عمر إبراهيم: **التركيبة السكانية للجزائر خلال العهد العثماني**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19فبراير 2014، ص 223.

2_ سعد الله أبو القاسم: **هجرة بعض الأعيان الجزائريين(1830-1847)**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان الاحتلال 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، 30-31 أكتوبر، الجزائر، 2006.

3_ سيدهم فاطمة الزهراء: **الثقافة بالجزائر العثمانية في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19 فبراير 2014.

4_ شيخي عبد المجيد: "**الهجرة في مواكبة المقاومات**"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان الاحتلال 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، 30-31 أكتوبر، الجزائر، 2006.

5_ قاسمي يوسف: **العلاقات الجزائرية التركية قبل الاحتلال الفرنسي: الجانب الاجتماعي والثقافي نموذجا**، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ، 18-19 فبراير 2014.

6_ مهديد إبراهيم: **بعض عناصر تفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقا ومغربا**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة غبان الاحتلال 1830-1962م، منشورات وزارة المجاهدين، 30-31اكتوبر، الجزائر،2006

خامسا/ الرسائل والأطروحات الجامعية:

1_ أرزقي شويتام : **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006، ص: 61.

2_ بوحجرة عثمان: **الطب والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014.

3_ خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2006،

4_ خليل كمال: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850- 1951)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007.

5_ درقاوي منصور: **الموروث الثقافي العثماني في الجزائر**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014-2015.

6_ محمد مقصودة: **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014.

7_ سلوان رشيد رمضان: **الأوضاع الاجتماعية في الجزائر في خلال الاحتلال الفرنسي**، مذكرة دكتوراه في تاريخ الحديث، جامعة تكريت العراق، 2013.

8_ عبد القادر بالغيث: **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014.

9_ عبود علي: **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض (1830-1899) القطاع الوهراني نموذجا**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2013،

10_ عقاد سعاد: **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519-1830)**، مذكرة ماجستير في تاريخ حديث، جامعة وهران، 2014.

11_ عميراوي حميدة: **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1800.1840)**،مذكرة ماجستير،ط1، الجزائر،1987.

12_ عيد مصطفى: **الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل أوربان) 1812-1884**، مذكرة ماجستير في تاريخ معاصر، جامعة الجزائر، .2008

13_ غطاس عائشة: **الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830)**، مذكرة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001.

سادسا/ قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1_ A. Lessore. W. wild: **La régence d'Alger**, Dar El Oumma, Algérie, 2001.

2_ ASSIA DJEBAR : **Velles d'Algerie au 19eme siècle**, Edition anep, Alger 2005.

3_G. Naphegyi: **Among the Anabs A Narrative of Adventives in Algeria**, 1868.

فـهرس المحتـويات

الفـــــهرس

الشكر والعرفان

الإهداء

المقدمة.....أ

الفصل الأول: تركيبة المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني(1800-1830)

المبحث الأول: الطبقة الخاصة في الجزائر..... 8

المطلب الأول: الأتراك.....8

المطلب الثاني: الكراغلة.....12

المطلب الثالث: الحضر.....15

أ_الأشراف.....15

ب_الأندلسيين.....16

المبحث الثاني: الطبقة العامة في الجزائر.....18

المطلب الأول: سكان المدن.....18

أ_الجيجليون.....18

ب_البساكرة..... 18

ت_الأغواطيون.....19

ث_بني ميزاب.....20

ج_القبائل.....20

ح_الوصفان أو الزنوج.....21

المطلب الثاني: سكان الأرياف..... 21

أ_الأجواد.....22

ب_المرابطون.....22

ت_قبائل المخزن.....23

ث_ قبائل الرعية.....25

المبحث الثالث: أهل الذمَّة..... 26

المطلب الأول: اليهود.....26

المطلب الثاني: الأوربيين المسيح.....30

أ_فئة الأوربيين الأحرار.....30

ب_ فئة الأسرى المسيحيين.....31

الفصل الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر(1800-1830)

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي بين المدينة والريف.....37

المطلب الأول: النشاط الاقتصادي في المدينة.....37

المطلب الثاني: النشاط الاقتصادي في الريف.....41

المبحث الثاني: الموروث العثماني في الجزائر 45

المطلب الأول: العادات والتقاليد..... 45

أ_اللباس.....45

ب_الغذاء.....47

ت_الزواج.....48

ث_الأعياد.....49

المطلب الثاني: المرافق العمومية.....50

أ_المقاهي.....50

ب_الأسواق.....51

ت_الحمامات.....52

المطلب الثالث: الحالة الصحية.....53

أ_الأمراض والأوبئة..... 53

ب_الكوارث الطبيعية.....55

المبحث الثالث: المؤسسات الدينية والثقافية.....57

المطلب الأول: المساجد والزوايا.....57

المطلب الثاني: الكتاتيب والمدارس.....59

المطلب الثالث: المكتبات.....62

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي(1830-1852)

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي وتأثيره علي المجتمع.....66

المطلب الأول: الزراعة.....66

المطلب الثاني: الصناعة والتجارة.....68

المبحث الثاني: الأساليب الاستعمارية الفرنسية ضد المجتمع.....71

المطلب الأول: السياسة التعسفية ـ دراسة عامة ـ.....71

المطلب الثاني: سياسة الاستيطان.....73

المطلب الثالث: مصادرة الأراضي.....77

المبحث الثالث: انعكاسات السياسة الفرنسية علي المجتمع الجزائري.....80

المطلب الأول: المقاومة الشعبية.....80

المطلب الثاني: الهجرة.....83

المطلب الثالث: التعليم..... 85

المطلب الرابع: الصحة.....88

خاتمة.....93

الملاحق.....96

قائمة المصادر والمراجع.....111

فهرس الموضوعات.....121